مـــــرقس
رسالة الفكر المسيحي للشباب والخدّام
ديسمبر ٢٠٢٤

والدة الإله القدِّيسة الطاهرة مريم

(أيقونة روسية من القرن الثامن عشر)

”يا لكرامة الحَبَل البتولي الذي لوالدة الإله، التي ولدت الله الكلمة بغير زرع بشر“

(من ثيئوتوكية الخميس)

ST. MARK
December 2024
Monthly Review

The Events of the Nativity

The Annunciation of Archangel Gabriel to the Virgin Mary concerning the Birth of Christ.
The Visitation of the Virgin Mary to Elisabeth her Kinswoman.
The Birth of Christ in a manger.
The Visit of the Magi to the Divine Child, presenting their gifts.

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٦٨ **ديسمبر ٢٠٢٤م.**

العدد ٦٥٩ **هاتور / كيهك ١٧٤١ش.**

المحتويات

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

«اتَّبِعُوا الْخَيْرَ» ١

مقال للأب متى المسكين: يقول الرب ٦

من أقوال الآباء:

العذراء مريم نموذج للعذارى ١١

بمناسبة صوم الميلاد:

الزيارة السمائيَّة لأجل خلاص البشريَّة ١٦

بمناسبة شهر كيهك المبارك:

الليتورجيَّة الكيهكيَّة وسِفْر الرؤيا ٢١

ادخل إلى العمق (٤٧):

العذراء مريم الأُمُّ والعَبْدَة والشفيعة ٢٦

من التراث الكنسي: معرفة الله (١٤) ٣١

دراسات كتابيَّة: "داود قال بالرُّوح القدس" (٢) ٣٤

بحث تاريخي: أديرة وكنائس أبنوب الأثريَّة ٣٨

تقديم كتاب: بين العِلْم والإيمان ٤٣

الفهرس العام لمقالات المجلة عام ٢٠٢٤م ٤٥

مقال بالإنجليزية:

Living With Christ, Vol. 4, 41, 42, 44 ..... ٥٢

من تعليم آباء الكنيسة

للقدّيس أنبا مقار الكبير

مجيء الطبيب الحقيقيّ

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

❁✝❁

[لقد جاء موسى،
لكنَّه ما استطاع أن يُعطِيَ شفاءً تامًّا؛
فكان في زمان النَّاموس كهنةٌ،
وتقدماتٌ، وعشورٌ ...،
وكلُّ بقيَّةِ البرِّ كان يُتَمَّمُ،
وما استطاعت النَّفسُ أن تُشفَى
وتتطهَّر من نزيف الأفكار الخبيثة النَّجس،
ولم يُسعِفها كلُّ برِّها لكي تبرأ؛
إلى أنْ جاء المُخلِّصُ،
الطَّبيبُ الحقيقيّ، الَّذي يُداوي مجَّانًا،
الَّذي بَذَلَ ذاته فديةً لأجل جنس البشر.
هو وحدَه صنع فداءَ النَّفس العظيمَ الخلاصيَّ
وشفاءَها؛ هو عَتَقَها من العبوديَّة،
وأخرجها من الظُّلمة،
ومجَّدَها بنوره الخاصّ؛
هو أنضبَ ينبوعَ الأفكار النَّجسة فيها،
لأنَّ (الكتاب) يقول: «هُوَ ذا حَمَلُ اللهِ
الَّذي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعالَمِ» (يو ١: ٢٩)**]**.

(العظة ٢٠: ٦)

مرقس: يصدرها ديـر القدِّيس أنبا مقار ـ برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا
تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك
تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠
تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org
عنوان البريد الإلكتروني:
stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري
تسديد الاشتراكات: بحوالة بريدية باسم:
مجلة مرقس على مكتب بريد شبرا
على عنوان: ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
أو على حساب شيكات بريدية رقم:
٠١٣٣١٠٠٠٣٠٨٥٨١٨
ويُحظَر إرسال أيّة نقود داخل المظروف بالبريد
ويُسدَّد الاشتراك عن طريق خدمة
أورانج وفودافون كاش الخاصة بأرقام المجلة
وتبدأ سنة الاشتراك في يناير من كلّ عام

ثمن النسخة ١٧ جنيهًا
الاشتراك السنوي: حرٌّ ... حدُّه الأدنى:
١٧٠ جنيهًا: داخل مصر (تسليم باليد)
٢٥٠ جنيهًا: داخل مصر (بالبريد)
١١٠ دولارًا أمريكيًّا: في البلاد الأخرى
يُسدَّد عن طريق موقع الدير على الإنترنت
عنوان المراسلات:
ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
مطبعة دير القديس أنبا مقار
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٤/٢١٧
الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382

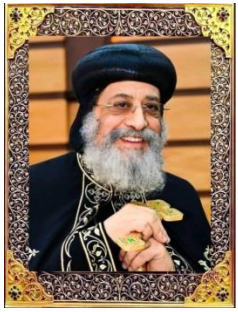

الافتتاحية

وصايا قصيرة جدًّا

«اتَّبِعُوا الْخَيْرَ»

(١تس ٥: ١٥)

لصاحب القداسة
البابا تواضروس الثاني

✠✠✠

عبارة «اتَّبِعُوا الْخَيْرَ» عبارة جميلة جدًّا، وهي تُذكِّرنا بكلمة السيِّد المسيح مع لاوي العشَّار (القدِّيس متَّى الرسول) قبل أن يدعوه، فعندما ذهب إليه يسوع عند مائدة الضرائب، قال له كلمة واحدة فقط وهي: «اتْبَعْنِي» (لو ٥: ٢٧) "Follow Me".

وعندما نتأمَّل في عبارة: «اتَّبِعُوا الْخَيْرَ»، نجد أنَّ معلِّمنا بولس الرسول يتكلَّم بصيغة الأمر، فيقول: «اتَّبِعُوا الْخَيْرَ»، لأن الخير هو الله. لذلك استقرَّ في وجدان العالَم كلِّه أنَّ أيَّ إنسانٍ عندما يستيقظ في الصباح يقول لمَنْ حوله: "صباح الخير".

فعبارة "صباح الخير"، عبارة جميلة، لأن الخير هو الله، وكأن هذا الصباح منحه الله لكَ لكي تتبعه وتعمل فيه الخير. فهي عبارة نُحيِّي بها بعضنا بعضًا في أول النهار كي يدخلنا إحساس أنَّ هذا النهار هو للخير.

الكتاب المقدَّس يحثُّ على صُنْع الخير:

- يقول المزمور: «اتَّكِلْ عَلَى الرَّبِّ وَافْعَلِ الْخَيْرَ» (مز ٣٧: ٣).
- يقول سِفْر عاموس: «اُطْلُبُوا الْخَيْرَ لاَ الشَّرَّ ... اُبْغُضُوا الشَّرَّ، وَأَحِبُّوا الْخَيْرَ» (عا ٥: ١٤ و١٥).
- يقول القدِّيس بولس الرسول: «مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ» (رو ١٢: ٩).
- ويقول أيضًا: «وَلكِنْ لاَ تَنْسُوا فِعْلَ الْخَيْرِ وَالتَّوْزِيعَ» (عب ١٣: ١٦).

ما هو الخير؟

"الخير" هو "الله"، وكلمة "الخير" تساوي كلمة "الله". لذلك نُصلِّي ونقول: "فلنشكر صانع الخيرات"، ولكن مَنْ هو صانع الخيرات إلَّا الخير نفسه، فالله هو صانع الخيرات. ومن الآيات الجميلة في المزامير: «تَفْتَحُ يَدَكَ فَتَشْبَعُ خَيْرًا» (مز ١٠٤: ٢٨)، فالله بمُجرَّد أن يمدَّ

يده يُشبِع البشر خيرًا، والسيِّد المسيح في إنجيل مُعلِّمنا متَّى البشير يقول: «فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلَادَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ، يَهَبُ خَيْرَاتٍ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ!» (مت ٧: ١١). فعمل الخير أو صُنْع الخير، هو من يد الله أولًا وأخيرًا، **لأنه هو الخير نفسه.**

إذن، الخير هو أن نصنع أعمالًا تُرضي الله، ولكن كيف يعرف الإنسان أنَّ أعماله خيِّرة تُرضي الله؟ لأن أحيانًا يعمل الإنسان عملًا يظنُّ أنه خير، ولكنه يُغضِب الله دون أن يدري.

مثال على ذلك ما قاله السيِّد المسيح لتلاميذه:

+ «سَيُخْرِجُونَكُمْ مِنَ الْمَجَامِعِ، بَلْ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَظُنُّ كُلُّ مَنْ يَقْتُلُكُمْ أَنَّهُ يُقَدِّمُ خِدْمَةً للهِ» (يو ١٦: ٢).

إنَّ قانون عمل الخير هو: «أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ» (رو ٨: ٢٨). بمعنى أنَّ كلَّ الأشياء من عند الله، تعَمل لأجل خير الإنسان.

لماذا يتوقَّف الخير؟

رغم أنَّ إرادة الله كلها للخير، إلَّا أنَّ الخطية تمنع خير الله عن الإنسان الخاطئ، وهناك آيات واضحة جدًّا في الإنجيل توضِّح ذلك.

فمثلًا: في سِفْر إرميا يقول: «خَطَايَاكُمْ مَنَعَتِ الْخَيْرَ عَنْكُمْ» (إر ٥: ٢٥)، فأحيانًا نجد أحد البيوت يوجد به بعض الأمور غير اللائقة، فنقول عن هذا الشخص (فلان حظُّه قليل). الأمر ليس كذلك، فلا يوجد شخصٌ حظّه قليل أو شخصٌ حظّه كثير!

إنَّ كلمة "حظّ" ليس لها تواجُد في مسيحيتنا، ولكنها الخطية التي تمنع الخير عن الإنسان، أو عن بيتٍ مُعيَّن.

مثال: إيليا وأخآب:

في العهد القديم نقرأ قصة إيليا النبي وأخآب الملك: «وَقَالَ إِيلِيَّا التِّشْبِيُّ مِنْ مُسْتَوْطِنِي جِلْعَادَ لأَخَآبَ: "حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي وَقَفْتُ أَمَامَهُ، إِنَّهُ لَا يَكُونُ طَلٌّ وَلَا مَطَرٌ فِي هذِهِ السِّنِينَ إِلَّا عِنْدَ قَوْلِي"» (١مل ١٧: ١). لقد انغمس شعب بني إسرائيل في الخطية وابتعدوا عن الله بعبادتهم الوثنيَّة، فمنع عنهم الخير، بمنع المطر ثلاث سنوات وستَّة أشهر، وعدم نزول المطر يؤدِّي إلى توقُّف أعمال الزراعة، وأعمال الرعي، فتموت

الحيوانات، وكل هذا يؤدِّي إلى حدوث مجاعة في البلاد.

وكان الجوع شديدًا جدًّا في الأرض، فلم يكن هناك زراعة ولا حصاد، وعندما تقابل أخآب الملك مع إيليا النبي «قَالَ لَهُ أَخْآبُ: "أَأَنْتَ هُوَ مُكَدِّرُ إِسْرَائِيلَ؟" فَقَالَ: "لَمْ أُكَدِّرْ إِسْرَائِيلَ، بَلْ أَنْتَ وَبَيْتُ أَبِيكَ بِتَرْكِكُمْ وَصَايَا الرَّبِّ وَبِسَيْرِكَ وَرَاءَ الْبَعْلِيمِ"» (١مل ١٨: ١٧ – ١٨). ثم بعد ذلك عاد الخير والمطر بصلاة إيليا النبي، وكان المطر عظيمًا جدًّا، وكان معه كلُّ الخير: «وَكَانَ مَطَرٌ عَظِيمٌ» (١مل ١٨: ٤٥).

فالمطر يعني الخير، حتى إننا في مصر عندما تُمطِر السماء نقول: "خيرًا"، وبالفعل المطر هو خير، وخصوصًا في البلاد التي تُعاني من الجفاف.

خطايا شعب بني إسرائيل، وشرُّ أخآب الملك وزوجته إيزابل، ترتَّب عليه أنَّ الله منع عنهم الخير.

الهدف من صُنْع الخير ودرجاته:

١. فعل الخير لأجل المصلحة:

مثال: ما فعله فرعون مع أبرام وساراي امرأته (تك ١٢).

لقد صنع فرعون خيرًا مع أبرام لأجل مصلحة، وهي أن يأخذ ساراي.

٢. فعل الخير لأجل محبة الخير ذاته:

هناك مَنْ يفعل الخير محبة للخير ومحبة لله ومحبة للإنسان، دون مقابل.

مثال: أليشع النبي ونُعمان السرياني:

لقد كان نُعمان السرياني مُصابًا بالبَرَص، وعندما جاء إلى أليشع، صنع معه أليشع خيرًا وأمره أن يذهب إلى نهر الأردن ويغطس سبع مرات، وعندما أطاع أَمْر أليشع شُفِيَ. فعاد نُعمان إلى أليشع وقال له: «خُذْ بَرَكَةً مِنْ عَبْدِكَ. فَقَالَ: "حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي أَنَا وَاقِفٌ أَمَامَهُ، إِنِّي لَا آخُذُ". وَأَلَحَّ عَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ فَأَبَى» (٢مل ٥: ١٥ – ١٦). وأنت أيضًا لا تمنع الخير عن أهله: «لَا تَمْنَعِ الْخَيْرَ عَنْ أَهْلِهِ، حِينَ يَكُونُ فِي طَاقَةِ يَدِكَ أَنْ تَفْعَلَهُ» (أم ٣: ٢٧). فعليك أن تعمل الخير، ولا تنتظر ردًّا له، لأن الله سيُرسِل لك الكثير أمام هذا الخير الذي فعلتَه: «فَمَنْ يَعْرِفُ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنًا وَلَا يَعْمَلُ، فَذلِكَ خَطِيَّةٌ لَهُ» (يع ٤: ١٧).

٣. فعل الخير لمُقابلة الشرِّ:

كان المعلِّم إبراهيم الجوهري **مثالًا واضحًا** في تاريخ كنيستنا في صُنْع الخير، فقد عاش أيام المماليك، ووصل في عمله إلى درجة "رئيس كُتَّاب القطر المصري" في عهد إبراهيم بك، وهي تُعادِل رُتبة رئاسة الوزراء حاليًّا.

لقد كان يصنع الخير مع الكلِّ، فكان يُرسل للمسلمين في رمضان الشموع والهدايا. وعُمِّرت في أيامه الكنائس والأديرة، كما كان يُساعد الفقراء بسخاء.

ومن المواقف التي تُحكَى عنه في مقابلة الشرِّ بالخير: حدث أنَّ أخاه المعلِّم جرجس كان يُعاني من إساءة شخصٍ ما له، إذ كان يوجِّه إليه بعض الألفاظ غير اللائقة كُلَّما مرَّ أمامه. فعندما اشتكى إلى أخيه المعلِّم إبراهيم الجوهري، قال له: "لا تنزعج ولا تغضب، أنا سأقطع لك لسانه".

فظنَّ المعلِّم جرجس أنَّ أخاه سيستخدم سلطانه وسلطته، ولكن المعلِّم إبراهيم الجوهري أرسل عطايا كثيرة جدًّا إلى هذا الشخص، ويبدو أنَّه كان مُحتاجًا. فمرَّ المعلِّم جرجس أمام هذا الرجل، فوجده يمدحه ويتكلَّم معه بكلامٍ طيِّب جدًّا، فتعجَّب! وعندما سأل أخاه عن السبب، عَلِمَ ما قدَّمه المعلِّم إبراهيم لهذا الرجل من خيرات، وبذلك صار عمل الخير وسيلة طيِّبة لقطع لسان الشر. وعليك أن تتنبَّه أنه كما تفعل الخير بالآخرين سيفعل الله بِكَ ويُعطيكَ كلَّ الخير: «أَعْطُوا تُعْطَوْا، كَيْلًا جَيِّدًا مُلَبَّدًا مَهْزُوزًا فَائِضًا يُعْطُونَ فِي أَحْضَانِكُمْ. لأَنَّهُ بِنَفْسِ الْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ» (لو ٦: ٣٨).

كيف تكون خيِّرًا؟

الوصية تقول: «... كُلَّ حِينٍ اتَّبِعُوا الْخَيْرَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ وَلِلْجَمِيعِ» (١تس ٥: ١٥). بمعنى أنَّ الخير غير محدود لا بالزمان ولا بالمكان، ولا يقتصر على حدود الأسرة أو الخدمة أو الكنيسة ... إلخ، فالخير هو للجميع في أيِّ مكانٍ وفي أيِّ زمانٍ، كما علَّمنا السيِّد المسيح: «كُلُّ مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَخَذَ الَّذِي لَكَ فَلَا تُطَالِبْهُ» (لو ٦: ٣٠).

(أ) املأ قلبك بالمحبة:

حاول أن تملأ قلبك بالمحبة الحقيقية، المحبة التي تكلَّم عنها الإنجيل والتي دعانا إليها السيِّد المسيح، المحبة التي نأخذها من السيِّد المسيح على الصليب، بمعنى أنَّ

هذه المحبة ليست هي المحبة الاجتماعيَّة أو الدبلوماسيَّة أو الشكليَّة.

وكما يُعلّمنا الكتاب: «لَا تَنْظُرُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لِنَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لآخَرِينَ أَيْضًا» (في ٢: ٤).

إنَّ محبة الناس معناها أن نُفتِّش عن خير الآخرين، كما نُفتِّش عن خيرنا. فكِّر في جارٍ لكَ محتاجًا لشيء، وقدِّم له هذا الشيء. قد تزوره وهو مريض، أو تشتري له شيئًا يحتاجه، فهذا خير.

(ب) تعلَّم روح العطاء:

لكي تصنع الخير، تعلَّم روح العطاء، وعلِّمها لأولادك وبناتك، ولو بشيءٍ يسير، مثل العطاء في المُناسبات الصغيرة التي تكون في نطاق الأسرة، مثل أعياد الميلاد.

فعلِّم ابنك: كيف يُعطي هديةً بسيطة لأخيه أو لأخته! وهكذا يتعلَّم الابن أن تكون يده خيِّرة، وليست يدًا مُمسِكة أو بخيلة. فعلِّم أولادك العطاء في الحياة، بصفةٍ عامة، وبذلك عندما يكبرون يكون العطاء سِمَة من سِمَات شخصيتهم.

(ج) الحرص على تنفيذ وصايا الله:

سِفْر إشعياء يُعلّمنا قائلًا: «تَعَلَّمُوا فَعْلَ الْخَيْرِ. اطْلُبُوا الْحَقَّ. انْصِفُوا الْمَظْلُومَ. اقْضُوا لِلْيَتِيمِ. حَامُوا عَنِ الأَرْمَلَةِ» (إش ١: ١٧).

إنَّ الوصية واضحةٌ جدًّا: «تَعَلَّمُوا فَعْلَ الْخَيْرِ»، بمعنى أنَّ الخير يحتاج إلى تعليم، تمامًا مثلما نُعلِّم أولادنا القراءة والكتابة. والسيِّد المسيح قدَّم لنا هذه الوصية بشكلٍ آخر حين قال: «لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي» (مت ٢٥: ٣٥)، فالطعام والماء وكل ما نُقدِّمه، هذه كلها أفعال خير يُقدِّمها الإنسان.

وفي النهاية، أودُّ أن أُذكِّركم بقول القدِّيس يعقوب الرسول عن الديانة الطاهرة النقيَّة عند الله: «الدِّيَانَةُ الطَّاهِرَةُ النَّقِيَّةُ عِنْدَ اللهِ الآبِ هِيَ هذِهِ: افْتِقَادُ الْيَتَامَى وَالأَرَامِلِ فِي ضِيقَتِهِمْ وَحِفْظُ الإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِلَا دَنَسٍ مِنَ الْعَالَمِ» (يع ١: ٢٧). ففعل الخير وصيَّةٌ جميلة ترتقي بالإنسان والإنسانيَّة.

البابا تواضروس الثاني

مقال للأب متى المسكين

يقول الرب[1]

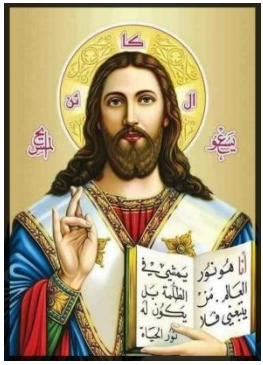

يقول الرب:
"أنا البداية والنهاية"،
"أنا الأَلِف والياء"،
"أنا الأول والآخِر".

مَن قال: "أنا البداية"، فحتمًا هو النهاية. وهذا هو الكمال المُطلق.

و"أنا البداية" تُفيد أنه بدء كلِّ ذي بدء، بمعنى قبل كلِّ ذي بدء. وهذا ما عبَّرت عنه الأسفار المقدَّسة أنه «بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ» (كو ١: ١٥).

ومَنْ قال إنه بداية كلِّ بداية، فهو حتمًا الذي أَوجَدَ ما لم يكن موجودًا، وهذا هو معنى "الخالق". ف "أنا البداية" تعني "أنا الخالق بذاتي". وبذاته، لأنه ليس ذاتٌ أُخرى في الوجود قبل البداية. لذلك فذات البداية هو الخالق، أو الخالق بذاته، ومن وجوده خَلَق كلَّ خليقة، أي كل ذي وجود.

والخالق بذاته هو الله، لأنه هو الوحيد الموجود بذاته، لم يخلقه أحدٌ ولا يقدر أي موجود أن يدنو منه، لأن الذات الخالقة كُلِّيَّة الوجود. وكلُّ الوجود المخلوق خارجٌ منه. هذا القول معناه إنَّ الله خالقٌ بذاته أو من ذاته، وبالتالي فهو أول مَنْ صوَّر غير الموجود وأخرجه إلى الوجود. والمسيح هو «بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ»، أي الصورة المُبدِعة لكلِّ خليقة ولكلِّ ذي وجود محدود خارج وجود الله الأزلي. فالله هو الوحيد الموجود بذاته.

لذلك يُقال إنه لا يستطيع أحدٌ أن يدنو منه (إش ٦٥: ٥؛ ١تي ٦: ١٦)؛ لأنه قيل إنه

---

(١) رسالة أُرسِلت للرهبان بتاريخ ٢٠٠٢/٩/٢٧.

«نَارٌ آكِلَةٌ» (تث ٤: ٢٤)، نارٌ حيَّة، تأكل – لو شاءت – الوجود الخارج منها، أيَّ وجودٍ كان. ولكن لأنها نارٌ حيَّة، فهي لا تُميت مَنْ تأكل، كالنار في العوسجة التي رآها موسى مشتعلة بالنار؛ ولكن لا العوسجة احترقت، ولا النار انطفأت (خر ٣: ١ – ٥). هذا المَثَل يوضِّح دينونة الله، فالله نارٌ حيَّة غير مُطفأة، تحرق ولا تُطفأ، وناره تبقَى تحرق ولا تنطفئ. والنار في جهنم هي العذاب، لأنها البُعْد الكُلِّي عن الله بُعدًا سالبيًّا، لأن الاقتراب من الله حياةٌ وحبٌّ وبرٌّ، والبُعاد عنه عذاب نار لا تُطفأ وحريقها لا ينتهي. القُرب من الله حبٌّ، والبُعْد غضبٌ وعداوة، ومَنْ يحتمل؟

ويقول الله:

+ «أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ» (رؤ ١: ٨).

ومَنْ قال: "أنا الألف"، حتمًا يكون هو "الياء". لأن "الألف" هي بدء المعرفة، والله هو العارف الكُلِّي بذاته، وذاته كُلِّيَّة المعرفة، ولا معرفة إلَّا ومُستَمَدة منه.

وحينما يقول: "أنا الألف"، فهو بدء المعرفة. ولكن الذي يقول إنه بدء المعرفة، فهو يعني أنه ليس قبله معرفة ولا عِرفان، بل لا وجودَ يُعرف أو أيَّة معرفة تُعرف.

ولكن الله وحده هو المعرفة التي كانت موجودة قبل أيَّة معرفة، ومِن معرفته بدأ يخلق، هذا هو الكلمة. فكلمة الله هو معرفة الله، الخالق للمعرفة، فالكلمة هو الله! والكلمة كان عند الله وفي الله، وهو الله الذي بدأ يظهر في الوجود مُتجسِّدًا لمَّا أرسل الله الآب كلمته – أي معرفته – ليتجسَّد بجسد إنسان. هذا هو يسوع المولود من الله الآب قبل كل الدهور، وفي ملء الزمان وُلِدَ من الروح القدس، في جسدٍ قدوس مأخوذ من جسد عذراء، إنسانة غير دنسة، امتلأت بالروح القدس والكلمة أي المعرفة بالله؛ فصارت مُنزَّهة عن الجهالة، قريبة جدًّا من الله، متَّحدة بالكلمة والكلمة متَّحدٌ بها عن طريق الروح القدس، فولدت المسيح وهو الكلمة، معرفة الله الكُلِّيَّة؛ فدُعِيَ كلمةُ الله المولود من العذراء قدوسَ الله، وكلمة ومعرفة الله الكُلِّيَّة، وهو والآب واحد.

ولكنه ليس واحدًا عدديًّا، بل واحدٌ في كلِّ صفةٍ وقوَّةٍ وجوهر، فهو واحدٌ مُطْلَق، الابن والآب معًا في جوهرٍ واحد، لأن الابن كائنٌ في الآب غير مُفترق. ليسا اثنين، بل الله الواحد الآب والابن، المُرسِلُ والمُرسَل.

«صَدِّقُونِي أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ» (انظر: يو ١٤: ١٠؛ ١٧: ٢١)، «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ» (يو ١٠: ٣٠)، «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ» (يو ١٤: ٩). وهكذا صارت العذراء الأُم الجديدة عِوَض حواء، الأُم الجديدة التي خرج منها أول مَنْ خرج من الجنس الجديد: ابن الله الكلمة المُتجسِّد، فصارت أُمًّا لله الكلمة الذي حلَّ فيه كلُّ ملء اللاهوت جسديًّا؛ أي إنَّه بمعنى عالٍ ومتعالٍ جدًّا، دخلت معرفة الله الكُلِّيَّة إلى العالم بواسطة إنسان، وصارت العذراء النموذج الأمثل للاقتراب من الله.

أمَّا يسوع المولود منها، أي الكلمة المُتجسِّد، أي معرفة الله الكُلِّيَّة المُهداة للإنسانِ، فأوجَد الطريق الوحيد للدخول في الإنسان ولإعطائه ملء معرفة الله كالتي فيه، فيصير ابنًا لله مباشرة! دون أيَّة واسطة إلَّا واسطة واحدة وحيدة هي **أن يؤمِن بالمسيح مباشرةً أنه ابن الله الحي المولود من الله أزليًّا ومن العذراء زمنيًّا، وأنْ يقبله في قلبه إلهًا قبولًا إيمانيًّا صادقًا.** هكذا اعترف القدِّيس يوحنا الرسول في أول أصحاح في إنجيله:

+ «إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ وَخَاصَّتُهُ (اليهود) لَمْ تَقْبَلْهُ. وَأَمَّا **كُلُّ** الَّذِينَ قَبِلُوهُ **فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللهِ،** أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ. الَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنَ اللهِ» (يو ١: ١١ – ١٣).

إذن، فهي ولادة إيمان صادق بقوَّة الله.

هذا هو الطريق المُباشر المفتوح أمام أيِّ إنسانٍ في العالم بلا أيِّ وسيط ولا مُعلِّم. وقد عاد المسيح نفسه يبسط هذا المدخل الوحيد إليه: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلَامِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلَا يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ، بَلْ (يكون) قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ» (يو ٥: ٢٤).

وهكذا بسَطَ المسيح الدخول إليه وامتلاك الحياة معه، وعدم دخول الإنسان قضاء الموت، وأنه ينتقل فورًا من الموت إلى الحياة. لأن قبول المسيح يسوع ابنًا لله يكون دائمًا من القلب بدَفْع الضمير المُتحرِّك بالروح القائد إلى الحق.

والوسيلة الناجحة جدًّا لبلوغ الإيمان بالمسيح من القلب بدون وساطة، هي الجري وراء الحق والبحث الشخصي عن: أين هو الحق؟ لأن الحقَّ يُستعلَن لكلِّ مَنْ يطلبه. والمسيح جعل الطريق مفتوحًا للغاية: «اِسْأَلُوا تُعْطَوْا. اُطْلُبُوا تَجِدُوا. اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ»

(مت ٧:٧)! هذا أثمن وعد وَعَدَ به المسيح الطالبين الإيمان به والآتين إليه.

يقول المسيح:

+ «أَنَا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ» (رؤ ١: ١١).

أمَّا قول المسيح: "أنا **الآخِر**"، فمعناه: ليس بعدي وجود ولا معرفة. والمسيح حينما يقول: و"أنا الآخِر"، معناه: إنه هو الوحيد الذي يعرف الآخِرة وكلَّ ما بعدها. وبعد المسيح يوجد القضاء أي الدينونة بين فئتين:

- فمن جهةٍ، الذين قبلوه وأعطاهم السلطان أن يصيروا أولاد الله، الذين قبلوا موته وآمنوا بقيامته بعد موت الصليب.
- ومن جهةٍ أُخرى، الذين رفضوه وازدروا به وبموته وصلبه وقيامته.

هؤلاء الأوَّلون يقبلهم عنده، ومعه، وفيه، ليحيوا حياة الشركة معه ومع رُسله وقدِّيسيه، حياة أبدية كلها بهجة وفرح ومسرَّة وسرور روحي كامل؛ أما الآخرون فيقول لهم: "لا أعرفكم".

ويقول المسيح:

+ «وَالْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيْتًا، وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ» (رؤ ١: ١٨).

وفي موضع سابق يقول: «إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ» (يو ١٤: ١٩).

فالمسيح يُناديك: "أنا حيٌّ"، و«وَكُنْتُ مَيْتًا، وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ!». فإن **قبلتَه حيًّا،** فبحسب الآية الثانية، حتمًا ستحيا معه بحياته. وإن رفضتَه حيًّا وازدريتَ به ميتًا، فسيطغى عليك الموت الذي هو البُعد الكُلّي عن الله، الذي هو لعنة وموت خطية آدم.

وحينما يقول المسيح: «وَكُنْتُ مَيْتًا، وَهَا أَنَا حَيٌّ»، معناه في الحال أنه داس الموت وأبطل سلطانه، بعد أن جازه من أجل الذين حُكِم عليهم بالموت بسبب آدم.

وحينما يقول: «إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ»، معناه أن هذا هو رجاء الذين آمنوا بالمسيح وقبلوه حيًّا، أنهم سيحيون حتمًا معه، لأنه مات من أجلهم وقام، وهم في جسده أحياء، لأنهم آمنوا بموته وحياته: «لأَنَّكُمْ قَدْ مُتُّمْ وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتِرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللهِ» (كو ٣: ٣).

وأنت الآن:

إمَّا حيٌّ بحياة المسيح، والمسيح ذهب ليُعدَّ لك مكانًا وسيأتي ويأخذك إليه، لتكون معه، ولترى مجده، وتشترك في ميراثه الأبدي في الحياة الأبدية؛ هذا إذا كنتَ قد قبلتَ المسيح ربًّا ومسيحًا وإلهًا ومُخلِّصًا، وتُبتَ عن حياة الجهالة والخطية، وأمسكتَ بالحياة الأبديَّة بالصلاة الدائمة والرجاء الحيّ والإيمان من كلِّ القلب؛

وإمَّا أنك تحيا في صورةٍ مزوَّرة، كمَنْ قَبِلَ المسيح ولكنك رذلتَ خلاصه وموته وقيامته وشركة آلامه، ولا زلتَ تحيا في الكذب والسرقة والزنا والنميمة والغضب وإهمال الصلاة والازدراء بالسهر وروح العبادة؛ وما زلتَ تجري وراء شهوات وملذَّات الجسد، وتهرب من الصلاة، وتتلذَّذ بالنوم والكسل ومحبة الأصدقاء لتكميل كيل خطية مَسْك سيرة الآخرين وعبادة شيطان النميمة.

نصيحة للحياة:

اجحد الشيطان، واطلب الحياة الأبديَّة لتحيا، وفرِّح قلب المسيح، وقُلْ: "قَبِلتُك يا ربي يسوع المسيح ربًّا ومسيحًا ومُخلِّصًا هذا اليوم. خلِّصني ونجِّني من الشرِّ وأصدقاء الشرِّ وكلام الشرِّ وأعمال الشر. وعلِّمني محبتك وخدمتك. إني قد آمنتُ بك".

مَن سار على الدَّرب وصل،
ودرب الآباء ضيِّق ولذيذ،
ونِير يسوع هيِّن وحِمْله خفيف.

****

دير القدِّيس أنبا مقار

بتصريح سابق من الأب متى المسكين بالإعلان عن مشروع معونة الأيتام والفقراء (مشروع الملاك ميخائيل)، حيث يعول هذا المشروع منذ عام ٢٠٠٠ أكثر من ألفين من العائلات المُعدمة، يمكن تقديم التقدمات في رقم الحساب الآتي:

00211300000153

دير القدِّيس أنبا مقار

بنك كريدي أجريكول مصر – فرع الميرغني

****

أقوال الآباء

العذراء مريم
نموذج للعذارى

للقدِّيس أُمبروسيوس(١)

(٣٣٩ – ٣٩٧م)

❖✚❖

العذراء دائمة البتولية:

لا مراء في أنَّ الأسرار الإلهيَّة مُحتَجَبَة. وليس هيِّنًا لإمرئ مهما كان أن يبلغ إلى إدراك مقاصد الله كقول النبي: «مَنْ قَاسَ رُوحَ الرَّبِّ، وَمَنْ مُشِيرُهُ يُعَلِّمُهُ؟» (إش ٤٠: ١٣). ومع ذلك فجملة أعمال وتعاليم ربِّنا ومخلِّصنا تجعلنا نُدرك أنَّ الله في تدبيره المُحكَم تمامًا، حسنًا اختار تلك التي خُطِبَت لرجلٍ من أجل تتميم ميلاد الرب. ولكن لماذا لم تَصِرْ أُمًّا قبل خطبتهما؟

ربما لكي لا يجرؤ أحدٌ على أن يقول إنها حَمَلَت بالزنا، والكتاب واضحٌ في الإشارة إلى هذين الأمرين: إنها كانت مخطوبة، وعذراء. عذراء، الأمر الذي يُظهِرها معصومة من كلِّ علاقة مع رجل؛ ومخطوبة، لكي تتجنَّب أيَّة شُبهة لعذراوية مفقودة، تلك التي كان الحَبَل سيُظهِر فقدانها. وشاء الرب أن يَدَع البعض يشكُّون في نَسَبه (أي نَسَب الطفل المولود منها) أفضل من الشكِّ في أُمِّه. فهو (أي الرب يسوع) كان يعرف كم إنَّ شرف عذراء ما أمرٌ حسَّاس، وكم إنَّ سمعة طهارتها قابلة للانثلام، ولم يُقرِّر أَمْر إثبات نَسَبه على حساب أُمِّه.

ولسنا نغفل سببًا آخر. فبتولية مريم كان ينبغي أن تخدع رئيس هذا العالم، الذي لم يجرؤ على الشكِّ في حَبَلها إذ رآها مخطوبة لرجُلٍ. ويُعلِن كلام الرب نفسه أنه كان يقصد إخفاء هويَّته عن الشيطان في مواضع متعدِّدة (مت ١٦: ٢٠، ٨: ٤؛ لو ٤: ٣٥؛ ١كو ٢: ٧). لقد خدع الرب الشيطان كيما يُقهره.

فلا نعجبنَّ إن كان الكتاب المقدَّس يدعوها دائمًا امرأة. فهذا لا يُعبِّر عن فقدان بتوليتها، بل شهادة لخطبتها وللتعبير عن اقترانها. وكوْن يوسف قد أراد تخليتها (سرًّا)، فهذا إقرارٌ بأنه قد اتَّخذها امرأة، لأنه لا يُشهِّر أحدٌ بإنسانة ما لم يكن قد اتَّخذها له.

---

(1) Sources Chrétiennes 45, p. 71 - 85.

العذراء نموذج للعذارى:

وحسنًا كانت مريم امرأة وعذراء، حيث إنها ترمز إلى الكنيسة التي بلا عيب وهي عروسة. فهي كعذراء حبلت بنا بالروح القدس، وكعذراء تلدنا بلا ألم. لقد قال الملاك للعذراء مريم: «سَلَامٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُمْتَلِئَةُ نِعْمَةً! الرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ. فَلَمَّا رَأَتْهُ (مريم) اضْطَرَبَتْ ...» (لو ١: ٢٨ و٢٩). اعرفوا العذراء من سلوكها، اعرفوا العذراء من اتضاعها، اعرفوا العذراء من كلامها، اعرفوا العذراء من السرّ ...

لقد خافت مريم حتى من تحيَّة الملاك، «وَفَكَّرَتْ مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هذِهِ التَّحِيَّةُ»!؟ فكَّرت بتواضعٍ، لأنها كانت مُضطربة؛ وبفطنةٍ، لأنها كانت مندهشة من هذه الصيغة الجديدة للبركة، التي لم يُسمَع عنها قط، ولم يتلقَّاها أحدٌ قط حتى ذلك الزمان. لقد حُفِظَ هذا السلام لمريم وحدها، فهي وحدها التي دُعِيَت بحقٍّ ممتلئة نعمة، إذ قد نالت وحدها هذه النعمة التي لم يَنَلْها أحدٌ غيرها قط، أن يملأها صانع النعمة.

هكذا خجلت مريم، كما خجلت أليصابات من قبلها أيضًا. ولكن لنعلَم، إذن، ماذا يُميِّز اتِّضاع أليصابات عن اتِّضاع العذراء؟ فأليصابات خجلت وهناك ما يدعو لخجلها؛ أمَّا هذه (أي العذراء) فقد خجلت من فرط اتِّضاعها. فبالنسبة للمرأة هناك حدٌّ لحيائها؛ أمَّا بالنسبة للعذراء الحياء يزيدها جمالًا.

موقف مريم من بشارة الملاك:

وإن لم نُمعن النظر في الأمر فقد يبدو لنا هنا أن العذراء لم تُصدِّق؛ إذ قالت: «كَيْفَ يَكُونُ هذَا ...؟»، ولكن من غير المعقول أن تُختار فتاةٌ لتلد ابن الله الوحيد وهي غير مُصدِّقة. فماذا يكون الأمر، إذن، ونحن نعلم جيِّدًا كرامة الأُم التي كانت تستحقُّ بالتأكيد أعظم اعتبار؟ وإذ هي كذلك فعلًا كان ينبغي أن يضمن لها أيضًا هذا الاعتبار، إذ إنَّ زكريا حُكِمَ عليه بالصمت لأنه لم يُصدِّق، ومريم التي لم تُصدِّق (استفسرت) شُرِّفت بحلول الروح القدس عليها! ولكن مريم ما كانت لترفض التصديق ولا أن تقع في الاستخفاف بالأمر، فرَفْض تصديق الملاك يُعتبَر شكًّا في الأمور الإلهيَّة. إلَّا أنه لم يكن من السهل إدراك «السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدُّهُورِ فِي اللهِ» (أف ٣: ٩؛ كو ١: ٢٦) الذي لم يُعرَّف به حتى القوَّات السماويَّة؛ ومع ذلك، فهي لم ترفض الإيمان به ولا التنصُّل من دورها فيه، بل أخضعت إرادتها ووعدت بخدمته، لأنها بقولها: «كَيْفَ يَكُونُ هذَا؟» لم تشكَّ في فاعليته، بل طلبت توضيح كيفية هذه الفاعلية!

وكم كانت هذه الإجابة أكثر اتِّزانًا من كلام زكريا الكاهن! فهو قد قال: «كَيْفَ أَعْلَمُ هذَا»؟ إنه (أي زكريا) يُعلِن عدم التصديق فيما هو يُعلِن عدم المعرفة، وبدا كأنه يبحث أيضًا عن ضمانة أُخرى لكي يؤمن؛ أمَّا هي (العذراء) فتُعلِن أنها مستعدَّةٌ للتصديق ولا تشكُّ في أنه يمكن أن يحدث ذلك، ولكنها تطلب معرفة كيف سيتم؟ لأننا نقرأ: «كَيْفَ يَكُونُ هذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلًا»؟ هذه الولادة الفريدة والفائقة للعقل، وجب أن تسمع عنها مواجهةً قبل أن تُسلِّم بها.

أنْ تلد عذراء، هذه آيةٌ وسرٌّ إلهيَّان وليس أمرًا بشريًّا، كما هو مكتوب: «يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا» (إش ٧: ١٤). فمريم قرأته وآمنت بكلامه، ولكنها لم تقرأ كيف كان ليتمَّ هذا! لأن هذه الكيفية لم تكن قد أُعلِنَت ولا حتى لنبيٍّ عظيم مثل إشعياء، ذلك أنَّ إعلان مثل هذا السر كان يجب أن يخرج لا من شفتَي إنسان بل ملاك. واليوم، ولأول مرَّة، نسمع القول: «اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ ...»، إننا نسمعه ونُصدِّقه.

وقالت العذراء أيضًا: «هُوذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ». انظروا التواضع، انظروا التكريس، إنها تقول: "أَمَة الرب" وهي المُختارة لتكون أُمَّه، وهذا الوعد غير المتوقَّع لم يجعلها ترتفع. وفي نفس الوقت وهي تقول: "أَمَة"، لم تطلب أيَّ امتياز تبعًا لمثل هذه النعمة. إنها ستُكمِل ما تُؤمَر به، لأن في مقابل ولادة الوديع المتَّضع لاقَ أن تكون أُمُّه مثالًا في الاتضاع. هذا القول يُعبِّر عن طاعتها وفيه تَرَوْنَ اشتياقها: «هُوذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ»، تعني الاستعداد لخدمته؛ و«لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ»، تُعبِّر عن الاشتياق الكامن لديها.

الزيارة النموذجيَّة:

بديهي أنَّ جميع مَنْ يريدون أن يُصدِّقوا يُهيِّئون أسباب التصديق، وأيضًا الملاك الذي كان يُعلِن الأسرار أعلن لمريم، وهي عذراء، أُمومة امرأة مُسِنَّة وعاقر، مُشيرًا بذلك أنَّ الله يستطيع أن يفعل كلَّ ما يسرُّه. فمنذ أن عرفت مريم، قامت – ليس عن نقص إيمان في النبوَّة، وليس عن غير يقينيَّة في هذا الإعلان، وليس عن شكٍّ في التي أُعلِنَ لها قبلها؛ بل بمسرَّة اشتياقها، وكيما تُكمِل واجبًا تَقَويًّا باجتهادٍ وفرح – وذهبت بسرعة إلى الجبال. إنَّ نعمة الروح القدس لا تعرف الترتيبات البطيئة.

تعلَّمنَ أيتها العذارى ألَّا تجرين إلى بيوت الآخرين، وألَّا تنجذبن إلى مواضع معيَّنة بالذات،

وألَّا تنشغلن بمحادثات على الطريق العام. فمريم تمهَّلت في المنزل، ولكن أسرعت في الطريق. لقد لبثت عند نسيبتها ثلاثة أشهر، لأنها إذ أتت لتؤدِّي خدمة، كانت تُؤدِّيها من كلِّ قلبها. وبقيت ثلاثة أشهر، ليس لمسرَّة الوجود في بيتٍ غريب، ولكن لأنها لم تُرِد أن تتنقَّل في الخارج.

تعلَّمنَ أيتها العذارى الرقَّة من مريم، وتعلَّمنَ أيضًا اتِّضاعها، فإنها تأتي كغريبة إلى قريبتها، وكصغيرة إلى كبيرتها؛ وليس فقط ذهبت إليها، بل كانت هي الأولى في تحيتها. فيليق حقًّا أن تكون العذارى أكثر اتِّضاعًا بقدر ما تَكُنَّ أكثر عِفَّة.

هناك أيضًا دافع آخر تَقَوي، بل وتعليم عقيدي: ففي الواقع، ينبغي أن يأتي الكبير إلى الصغير ليُساعده، فمريم أتت إلى أليصابات، والمسيح إلى يوحنا، وأتى إليه أيضًا فيما بعد كيما يُقدِّس معموديته (مت ٣: ١٣). وللحال استُعلِنَت بركات مجيء مريم وحضور الرب: «فَلَمَّا سَمِعَتْ أَلِيصَابَاتُ سَلاَمَ مَرْيَمَ ارْتَكَضَ الْجَنِينُ فِي بَطْنِهَا، وَامْتَلأَتْ أَلِيصَابَاتُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ ...».

لاحِظوا دقَّة اختيار كل لفظ: فأليصابات هي أول مَنْ سمعت الصوت، ولكن يوحنا هو أول مَنْ شعر بالنعمة؛ فتلك سمعت طبقًا لنظام الطبيعة، أمَّا هذا فتهلَّل تحت تأثير السرِّ. لقد أدركت هي وصول مريم، وأدرك هو وصول الرب؛ أدركت المرأة ما للمرأة، والطفل ما للطفل. تكلَّمت المرأتان بإرشاد النعمة، وحقَّقها الطفلان في الداخل وبلغا إلى سرِّ الرحمة لصالح والدتيهما؛ وبمعجزة مزدوجة تنبَّأت الوالدتان بإلهام طفليهما. فالطفل تهلَّل، والأُمُّ امتلأت. والأُمُّ لم تمتلئ قبل ابنها؛ بل حالما مُلئ الابن بالروح القدس، امتلأت منه الأُم أيضًا.

يوحنا تهلَّل، وروح مريم بالمثل تهلَّلت؛ وفي تهليل يوحنا، امتلأت أليصابات ... لأن ذاك الذي لا نستطيع أن نُدركه عَمِلَ في أُمِّه بطريقةٍ غير مُدرَكَة. وأخيرًا، فإنَّ أليصابات امتلأت بعد أن حملت، أمَّا مريم فقبل الحَمْل.

«مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ وَمُبَارَكَةٌ هِيَ ثَمَرَةُ بَطْنِكِ! فَمِنْ أَيْنَ لِي هذَا أَنْ تَأْتِيَ أُمُّ رَبِّي إِلَيَّ»؟ إنَّ الروح القدس يعرف كلامه، والنبوَّة تتحقَّق، ليس فقط في الأعمال المعجزيَّة، بل أيضًا في الأهداف الواضحة والخاصة جدًّا. فما هي ثمرة البطن هذه إلَّا ذاك الذي قيل عنه: «الْبَنُونَ مِيرَاثٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، ثَمَرَةُ الْبَطْنِ أُجْرَةٌ» (مز ١٢٧: ٣). أو يُقال أيضًا: إنَّ ميراث الرب هم الأبناء المأخوذون من هذه الثمرة التي خرجت من أحشاء مريم. إنه هو ثمرة البطن، الغصن الذي نبت من أصل، حسنًا تنبَّأ عنه إشعياء النبي قائلًا: «يَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى،

وَيَنْبُتُ غُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ» (إش ١١: ١). فالجذع هو جنس اليهود، والغصن هو مريم، وزهرة مريم هي المسيح، الذي هو – كثمرة شجرة صالحة، وتبعًا لتقدُّمنا في الفضيلة – يُزهر الآن ويُثمر فينا، ويلد الآن جديدًا بالقيامة مَنْ يقبل الحياة في جسده.

«مِنْ أَيْنَ لِي هذَا ...»؟ إنه ليس عن جهل تسأل أليصابات – فهي تعلَم تمامًا أنَّ في سلام مريم أُم الرب، نعمة وفعل الروح القدس من أجل صالح ابنها – ولكنها تُقِرُّ أنَّ هذه نتيجةٌ ليس للاستحقاق البشري بل للنعمة الإلهيَّة، وهي تقول أيضًا: «مِنْ أَيْنَ لِي هذَا ...»؟ بمعنى: "أيُّ نعيم صار إليَّ أنَّ مريم أُم الرب تأتي إليَّ. إني أُقرُّ بأنه قد آل إليَّ بلا أيِّ وجه حق، فمن أين لي هذا؟ ليس هذا أمرًا مألوفًا بين النساء، أن تأتي أُمُّ ربِّي إليَّ! إني أتوقَّع معجزة، إني أُقرُّ بالسرِّ: ها هي أُمُّ الرب مُخصَّبة بالكلمة".

«طُوبَى لِلَّتِي آمَنَتْ ...»، أنتم تَرَوْنَ أن مريم لم تشكَّ بل صدَّقت، وبذا اقتنت ثمرة الإيمان. لقد قالت (أليصابات): «طُوبَى لِلَّتِي آمَنَتْ ...»، ولكن طوبى لكم أنتم أيضًا الذين تسمعون وتؤمنون! لأن كلَّ نفسٍ تؤمن، تحبل وتلد كلمة الله وتقرُّ بأعماله. فليت نفس مريم تكون قدوة في كلِّ شيء كيما نُمجِّد الرب، وليت روح مريم تكون قدوة في كلِّ شيء كيما نُعلِّي الله، فإنه وإن لم توجد إلَّا أُمٌّ واحدة للمسيح حسب الجسد، فإنَّ المسيح بالإيمان يمكن أن يكون ثمرة للجميع، لأن كلَّ نفس يمكن أن تقبَل كلمة الله بشرط أن تحفظ العفَّة بلا عيب وتتحفَّظ من الرذائل في طهارةٍ كاملة. إذن، فكلُّ نفس تبلغ إلى هذه الحالة تُعظِّم الرب! كما عظَّمت نفسُ مريم الربَّ، وكما تهلَّلت روحها بالله مُخلِّصها.

في الواقع، إنَّ الربَّ يتعظَّم هكذا، كما قرأتم في موضعٍ آخر: «عَظِّمُوا الرَّبَّ مَعِي» (مز ٣٤: ٤). ليس إنَّ كلام الإنسان يمكن أن يُضيف شيئًا إلى الرب، ولكن لأنه يكبر فينا، لأن المسيح هو «صُورَةُ اللهِ» (٢كو ٤: ٤؛ كو ١: ١٥). وعلى ذلك، فكلُّ نفس تصنع عملًا ببرٍّ وتقوى، تُعظِّم صورة الله هذه، التي خُلِقَت على مثالها. وعلى ذلك أيضًا، فهي تُشارِك – بصورةٍ ما – وهي تُعظِّمه في عظمته وتوجَد مرتفعة فيه ...

وعلى ذلك، فنفس مريم تُعظِّم الرب، وروحها تتهلَّل بالله مُخلِّصها، لأنه إذ هي مُكرَّسة نفسًا وروحًا للآب والابن، فإنها توقِّر – بحبٍّ تَقَويٍّ – الله الواحد، الذي به جميع الأشياء الكائنة (١كو ٨: ٦).

بمناسبة
صوم الميلاد

الزيارة السمائيَّة
لأجل خلاص البشريَّة

❖✚❖

البشارة بميلاد مُخلِّص العالم:

في ملء الزمان، وبعد طول انتظارٍ من البشريَّة المحبوبة من الله، وقد امتلأ كأس شوق البشرية وأنينها للخلاص، وعند كمال خطة التدبير الإلهي، استجاب حب الله للبشرية ممزوجًا بماء أنينها وشوقها، بل توقها لمُخلِّص يرفعها من حَمأة الخطيَّة، ومصير الموت والتغيير والفساد المحتوم؛ إذ بزائرٍ سماويٍّ نورانيٍّ أتى بخطواتٍ وَئيدة، وحَفيف أجنحةٍ أرقٍّ من نسيم الصباح، أتى يطرق باب قلب فتاةٍ طاهرة يُبشِّرها أنها ستكون – وهي العبدة الأَمَة – الملكة الأُم. وها طريق الخلاص الأبدي للجنس البشري مُمهَّد، وقد لاحت شمسه وبَزَغ فجره. وها هو مُشتهَى كل الأُمم سيُقِرُّ عينيها، ابنًا وليدًا، عجيبًا، أبًا أبديًّا، رئيس السلام، رئيس الحياة، رئيس الإيمان ومُكمِّله، نور الحياة، بل هو الحياة. دعنا نتلمَّس في سطور الوحي المقدَّس، علَّنا نتكشَّف سويًّا بهاء السرِّ ونتعمَّق فحواه، ولو في ضبابٍ:

«وَفِي الشَّهْرِ السَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلاَكُ مِنَ اللهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ اسْمُهَا نَاصِرَةُ، إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ. وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ» (لو ١: ٢٦ – ٢٧).

بتوليَّة العذراء قبل الولادة وبعد الولادة:

يحاول **القدِّيس جيروم** (٣٤٩ – ٤٢٠م) أن يَفهم، ليشرح لنا، شرحًا إنجيليًّا مبنيًّا على حادثة مُماثلة يقيس عليها كيف لبتولٍ أنْ تَلِد! فيقول:

[يا قدِّيسة مريم، يا ممتلئة نعمة، الأُم والعذراء، عذراء قبل أن تَلِد وعذراء بعد الميلاد. إني لمتعجِّبٌ! كيف لبتولٍ أن يولَد من عذراء! وكيف لها أن تظل عذراء بعد ميلاده. هل تريد أن تفهم ذلك؟ «وَكَانَتِ الأَبْوَابُ مُغَلَّقَةً حَيْثُ كَانَ التَّلاَمِيذُ مُجْتَمِعِينَ لِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ الْيَهُودِ، جَاءَ يَسُوعُ وَوَقَفَ فِي الْوَسْطِ، وَقَالَ لَهُمْ: "سَلاَمٌ لَكُمْ"» (يو ٢٠: ٢٦)، لا جدال في ذلك؛ ذاك الذي دخل من الأبواب المُغَلَّقة لم يكن شبحًا ولا خيالًا.

كان إنسانًا ذا جسدٍ حقيقي، بل وأكثر من ذلك يقول: «انْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ: إِنِّي أَنَا هُوَ! جُسُّونِي وَانْظُرُوا، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي» (لو ٢٤: ٣٩). لقد كان له جسدٌ وعظام ... إنَّ هذا عجيبٌ! إنها في الحقيقة قوَّة الله][1].

ما بين سرِّ التجسُّد وسرِّ الكنيسة:

ويربط **القدِّيس أمبروسيوس** (٣٣٩ – ٣٩٧م) سرَّ التجسُّد وبتولية والدة الإله، مع سرِّ الكنيسة كعروس للمسيح، وأن كليهما لهما صفة البتولية، مع إمكانية الحَبَل العذراوي بفعل تقديس الروح القدس، فيقول:

[إنَّ البشير الذي تعهَّد أن يؤكِّد سرَّ التجسُّد الذي لا يُسبَر غوره، بالرغم من أنه من غير الممكن معرفة سرِّ بتوليتها، وحتى لا يكون كمدافع عن العذراء فقط ومن دون سبب؛ فبالتأكيد، إنه لمَّا قرر أنَّ يوسف كان "رجُلًا بارًّا"، فإن هذا كافٍ ليؤكِّد أنه لا يمكنه اقتحام هيكل الروح القدس، أعني أُم الرب، وعاء هذا السر. لقد كانت مخطوبة ومقترنة، لكنها عذراء. ذلك لأنها صورة الكنيسة التي لم تتدنَّس، لكنها مخطوبة «لِكَيْ يُحْضِرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً، لَا دَنَسَ فِيهَا وَلَا غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ، بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبِلَا عَيْبٍ» (أف ٥: ٢٧). بمعنى أنها (أي الكنيسة) عذراء حبلت بنا من الروح القدس، عذراء تلدنا دون مخاض. وعلى نفس المنوال، فمريم التي اقترنت بآخر، حبلت من آخر، أي الروح القدس مثلها مثل الكنيسة المملوءة من الروح القدس، والنعمة خفيَّة، وفي ذات الوقت مرتبطة برتبة الكهنوت الجليلة ظاهرًا][2].

الوعد الذي وُعِدَ به إبراهيم هو الذي وُعِدَت به العذراء:

ولا شكَّ أن إيمان القدِّيسة مريم الفائق الوصف، هو بمثابة قمَّة إيمان الأجيال المُتعاقبة منذ بدء الخليقة، والذي يجد بذرته الحيَّة في إيمان إبراهيم أبي الآباء، والتي أثمرت ثمرًا جيِّدًا فيها. وهذا ما نجده في كلمات **الأب متى المسكين** الذي، بحكمةٍ، لاحظ هذا الارتباط الوثيق، فيقول:

[عظيمة هذه العذراء بنت إبراهيم التي جسَّدت إيمان إبراهيم، فهو الذي «آمَنَ بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا» (تك ١٥: ٦). والعجيب أنَّ الموعد الذي وُعِدَ به إبراهيم هو هو نفس

(1) Jerome, *Homily*, 87, FC 57:217 -18.

(2) Ambrose, *Exposition of the Gospel of Luke*, 2, 6-7, EHG 36.

الذي وُعِدَت به العذراء فآمنت، فحلَّ في أحشائها ذاك الذي تتبارك به كل أُمم الأرض وتتبرَّر. وهكذا، ونحن أمام رواية القدِّيس لوقا، وبلغة العهد القديم في حوار الملاك مع العذراء؛ نشعر وكأننا نُكَمِّل قصة إبراهيم مع الله – نحن الأُمم – ونحن على بُعد أربعة آلاف سنة (هذا ما نراه نحن الآن): «فَقَالَ الرَّبُّ لِي: "أَحْسَنْتَ الرُّؤْيَةَ لأَنِّي أَنَا سَاهِرٌ عَلَى كَلِمَتِي لأُجْرِيَهَا"» (إر ١: ١٢)، نعم «يَا رَبُّ عَمَلَكَ فِي وَسَطِ السِّنِينَ أَحْيِهِ» (حب ٣: ١)، «(فَأَجَابَنِي الرَّبُّ وَقَالَ:) "اكْتُبِ الرُّؤْيَا وَانْقُشْهَا عَلَى الأَلْوَاحِ لِيَرْكُضَ قَارِئُهَا، لأَنَّ الرُّؤْيَا بَعْدُ إِلَى الْمِيعَادِ، وَفِي النِّهَايَةِ تَتَكَلَّمُ وَلَا تَكْذِبُ. إِنْ تَوَانَتْ فَانْتَظِرْهَا لأَنَّهَا سَتَأْتِي إِتْيَانًا وَلَا تَتَأَخَّرُ"» (حب ٢: ٢ و٣). وصحَّ القول: «... أَنَّ يَوْمًا وَاحِدًا عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَأَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ. لَا يَتَبَاطَأُ الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمٌ التَّبَاطُؤَ، لَكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا» (٢بط ٣: ٨ و٩)][٣].

بتجسُّد ابن الله استعادت البشرية صورتها التي تشوَّهت بفعل العصيان:

ويبرع قيثارة الروح **القدِّيس مار أفرام السرياني** (٣٠٣ – ٣٧٣م) في إضفاء شرح لعمل الله كُلِّيِّ القدرة في إعادة خَلْق البشرية واستعادة صورتها التي تشوَّهت بفعل المخالفة التي سقطت فيها البشرية، فيُصوِّر هذا العمل كما يفعل المهندس مع بناءٍ مُتهالك، أو لهيب نار تُنقِّي ولا تحرق بل بندى لطيف تُرطِّب وتُطرِّي، فيقول:

[إنه من اللَّائق، أنَّ مهندس بنيان الخليقة، يأتي ليُقيم البيت الذي سقط. وأنَّ الروح الذي يخلق هو الذي يُقدِّس ويُطهِّر المساكن التي امتلأت بالقاذورات. وهكذا، إنَّ الوالد تحمَّل في ذاته الحُكْم الذي حاق بابنه. فإنه من الواضح أنَّ الخالق قد أتمَّ خلقة البشرية عن طريق ردِّها إليه مرةً أخرى.

إنه الجمرة المُشتعلة الحيَّة التي جاءت لتحرق الشَّوك والحَسَك: «وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ» (تك ٣: ١٨)، «لأَنَّ الْفُجُورَ يُحْرِقُ كَالنَّارِ. تَأْكُلُ الشَّوْكَ وَالْحَسَكَ وَتُشْعِلُ غَابَ الْوَعْرِ فَتَلْتَفُّ عَمُودَ دُخَانٍ. بِسَخَطِ رَبِّ الْجُنُودِ تُحْرَقُ الأَرْضُ وَيَكُونُ الشَّعْبُ كَمَأْكَلٍ لِلنَّارِ»(إش ٩: ١٨و ١٩).

لقد سكن في البطن وطهَّرها، وقدَّس موضع الحَبَل به الذي كان قبلًا محلًّا للَّعن

(٣) الأب متى المسكين، "الإنجيل بحسب القدِّيس لوقا – دراسة وشرح وتفسير"، الطبعة الرابعة: ٢٠١٥، ص ١٠٣ – ١٠٤.

والموت: «وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: "تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ. بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلَادًا"» (تك ٣: ١٦)، واللهيب الذي رآه موسى كان يُرطِّب العُلَّيقة: «وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ بِلَهِيبِ نَارٍ مِنْ وَسَطِ عُلَّيْقَةٍ. فَنَظَرَ وَإِذَا الْعُلَّيْقَةُ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ، وَالْعُلَّيْقَةُ لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ! فَقَالَ مُوسَى: "أَمِيلُ الآنَ لأَنْظُرَ هَذَا الْمَنْظَرَ الْعَظِيمَ. لِمَاذَا لَا تَحْتَرِقُ الْعُلَّيْقَةُ؟"» (خر ٣: ٢ و٣)؛ بل ويُطفئ الدهن لئلا يلتهب. إنَّ صورة الذهب النقي تظهر في العُلَّيقة كمَنْ يدخل النار ولا يحترق. كلُّ هذا، يشرح لنا أنَّ النار الآكلة التي ستأتي في ملء الزمان لتُرطِّب بطن العذراء وتُسربلها، مثل نار العُلَّيقة][٤].

المقارنة بين ما فعلته حواء وما فعلته العذراء مريم:

ويحكم **القدِّيس إيرينيئوس** (تنيَّح ٢٠٢م)، ربيب الرُّسُل، الربط بين الأصحاح الثالث من سِفْر التكوين والأصحاح الأول من إنجيل معلِّمنا لوقا من حيث: جُرم المخالفة والشجرة المُحرَّمة، والملاك الساقط، والحيَّة المُتحايلة؛ وكيف حوَّلت حكمة الله كلَّ الأحداث لتؤول إلى خلاصٍ أبدي، وبركاتٍ تغمر الجنس البشري الذي فسد، و لتردَّه إلى مرتبته الأولى، فيقول:

[ها هو الرب قد استُعلِن لخاصَّته، ووُلِدَ من خليقته، تلك التي هو بذاته يعولها. إنه بطاعته على الخشبة قد جدَّد واستعاد ما قد هلك بسبب الشجرة. إنَّ الغواية التي جلبت الشرَّ والتي انزلقت فيها حواء العذراء، وقد خُطِبَت لرجل؛ قد نُقِضَت عندما حَمَل الملاك الطاهر الأخبار السَّارة للعذراء المخطوبة لرجل. وحواء التي أُغويت بكلمات ملاكٍ "ساقط" كي تهرب من الله، متمرِّدة على وصيته؛ فإن مريم بكلمات ملاكٍ "طاهر" قَبِلَت الأخبار السَّارة، وسوف تحبل بابن الله، بطاعتها للبشارة. الأولى أُغويت وعَصت، والثانية انصاعت بخضوعها وطاعتها. وهكذا صارت مريم مُحامية ومُخلِّصة لجدَّتها حواء. وكما إنَّ جنس البشر قد خضع للموت من إثر سلوك حواء العذراء؛ هكذا، بطاعة حواء الثانية وخضوعها، خَلصت البشرية جمعاء. بالحقيقة، إنَّ خطية آدم الإنسان الأول قد آلت وصارت كتأديبٍ تحمَّله في ذاته وحيد الآب، والأغلال التي قيَّدتنا قد تحطَّمت، والحكمة الشريرة التي للحيَّة قد حُمِقت ببساطة الحمامة الحسنة][٥].

(4) Ephrem The Syrian, *Commentary on Tatian's Diatessaron*, 1, 25, ECTD 53.

(5) Irenaeus, *Against Heresies* 5, 19-20, LCC 1:389-95.

اسم "يسوع" لا يُشير إلى طبيعته بل إلى عمله كمُخلِّص:

ويعود **القدِّيس مار أفرام السرياني** بعينٍ لَمَّاحة، وحسٍّ روحانيٍّ سامٍ، ليُعلِّق على قول الملاك الجليل للعذراء: «وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ» (لو ١: ٣١)، فيقول:

[إنَّ الملاك أُرسِل للعذراء وقال لها: "ستُسمِّينه يسوع" هو الذي سوف يظهر في الجسد. لم يقل: "اسمه يسوع"، ولكن، "ستُسمِّينه يسوع"، لأن ذلك هو اسمه بحسب التدبير بالجسد. لأن يسوع اسم عبري يعني: "مُخلِّص"، والملاك قال ذلك، لأنه سوف "يُخلِّص شعبه من خطاياهم". فالاسم لا يُشير إلى طبيعته، بل إلى عمله][٦].

لقد كان الطَّيف السماوي الذي بارك قرية الناصرة منذ ألفيّ عام، هو البشير المُفرِح ببدء حِقبة الخلاص الأبدي واكتمال الأزمنة، وتحقيق العهد والوعد برجوع الجنس البشري إلى رتبته المُعدَّة له من قبل إنشاء العالم. نُعظِّمك يا أُم النور الحقيقي، السلام لكَ يا ملاك البشارة المُفرحة، ونسجد لخالقنا مُحب البشر الصالح، له كلُّ تمجيد وإكرام، مع الآب القدوس والروح القدس المساوي في الأزليَّة، إلى دهر الدهور والأزمان، آمين.

---

(6) Ephrem The Syrian, *Commentary on Tatian's Diatessaron* 25, ECTD 52.

****

الشركة مع الله

للقدِّيس إيرينيئوس

[إنَّ المسيح – كما قلنا – قد ألَّف ووحَّد الإنسان مع الله، لأنه لو لم يكن الإنسان قد اتَّحد بالله لَمَا استطاع أبدًا أنْ يشترك في الخلود. لذلك كان ينبغي أنَّ الوسيط بين الله والناس، بسبب انتسابه لكلٍّ منهما، يُعيد بينهما الأُلفة والتوافُق حتى إنَّ الله يقبل إليه الإنسان، والإنسان يُقدِّم نفسه لله. فبأيِّ وسيلة كان يمكننا أن ننال التبنِّي لله، إلَّا بأن نحصل بواسطة الابن على الشركة مع الله، وذلك بأن يصير كلمة الله مُشاركًا لنا، بأن يصير جسدًا؟! لذلك فقد جاء مُجتازًا في جميع القامات حتى يسترجع للجميع **الشركة مع الله**].

(ضد الهرطقات ٣: ١٨: ٧)

****

بمناسبة

شهر كيهك المبارك

الليتورجيَّة الكيهكيَّة
وسِفْر الرؤيا

❖✚❖

- «وَرَأَيْتُ ... الْغَالِبِينَ ... مَعَهُمْ قِيثَارَاتُ اللهِ، وَهُمْ يُرَتِّلُونَ تَرْنِيمَةَ مُوسَى عَبْدِ اللهِ، وَتَرْنِيمَةَ الْخَرُوفِ قَائِلِينَ: "قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، الرَّبُّ الإِلهُ ... أَنْتَ مُسْتَحِقٌّ أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ ... لأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا للهِ بِدَمِكَ"» (رؤ ١٥: ٢ و٣؛ ٤: ٨ و١١؛ ٥: ٩).

العبادة الليتورجيَّة:

كلمة "ليتورجيَّا" تنطبق على جميع الخدمات وطقوس الصلوات والتسابيح الكنسيَّة التي تُحقِّق الكنيسة فيها طبيعتها ودعوتها السماويَّة. والعبادة الليتورجيَّة ليست هدفًا في حدِّ ذاتها؛ بل إنها الوسيلة التي يشهد بها شعب الله لعمل المسيح الخلاصي ويشترك فيه، أي الحياة الجديدة في الروح القدس في ملكوت الله في هذا العالم كحياةٍ مُسْبَقة للعالم العتيد!

والليتورجيَّة ليست للتعزية، بل إنها هي التفسير الصحيح لِمَا يحدث بالفعل في حياتنا. إنها مليئة بالقوَّة وإنارة الذهن للقيام بالمُثابرة في الحياة. هكذا هي الليتورجيَّة، كما عرفناها من سِفْر الرؤيا والعهد الجديد ككل.

ولأن المسيح «كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ» (عب ٧: ١٧)، فهو الكاهن الأعظم أو رئيس الكهنة الذي صنع معنا عهدًا جديدًا بدمه؛ ولا يمكن للكاهن ألَّا يُقدِّم خدمة ليتورجيَّة، وهي ليتورجيَّة تسبيحنا الأبدي في السماء. وكلمة "إلى الأبد" تعني أنه يخدم بلا انقطاع في بيت الله السماوي. كما إنه يُدعَى ليس كاهنًا فحسب بل أيضًا "خادمًا"، أي «خَادِمًا لِلأَقْدَاسِ وَالْمَسْكَنِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي نَصَبَهُ الرَّبُّ لاَ إِنْسَانٌ» (عب ٨: ٢). والعبادة المسيحيَّة الحقيقية على الأرض يجب أن تعكس عبادة المؤمنين للمسيح في السماء.

الثلاثة تقديسات:

وقد أُضيفت إلى الليتورجيَّة، منذ القرن الرابع الميلادي، التقديسات الثلاثة لتُزيِّنها بتسبحة ملائكية. فهي أحد أركان العبادة الليتورجيَّة السماويَّة التي كُشِفَت لبعض الأنبياء مثل إشعياء النبي: «رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ، وَأَذْيَالُهُ تَمْلأُ الْهَيْكَلَ، السَّرَافِيمُ وَاقِفُونَ فَوْقَهُ، لِكُلٍّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ، بِاثْنَيْنِ يُغَطِّي وَجْهَهُ، وَبِاثْنَيْنِ يُغَطِّي رِجْلَيْهِ، وَبِاثْنَيْنِ يَطِيرُ. وَهذَا نَادَى ذَاكَ وَقَالَ: "قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ"» (إش ٦: ١ – ٣).

وكان أول مَنْ رآها في العهد الجديد هو الرسول يوحنا في رؤياه: «وَلَا تَزَالُ (الخوارس السماويَّة) نهارًا وليلًا قائلةً: "قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، الرَّبُّ الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ"» (رؤ ٤: ٨). وهذا هو النصُّ الليتورجي الذي اقتبسه اليهود في صلوات مجامعهم، ومن بعدهم الكنيسة في قدَّاساتها وتسابيحها.

ويقول المؤرِّخون: إنَّ هذه التسبحة وُجِدَت أولًا في ليتورجيَّات أورشليم ومصر، وبعدهما في أنطاكية. ويُلاحَظ أنها أُضيفت مرتين وبطريقتين مختلفتين: "آجيوس" (قبل أوشيَّة الإنجيل)، و"الشيروبيم يسجدون ..." أثناء القدَّاس.

ويوجد في قدَّاس القدِّيس هيبوليتس ما يدلُّ على أنَّ الذبيحة التي تُقدَّم على المذبح الأرضي تُشير إلى ذبيحة الهيكل السماوي، ومن الطبيعي أن يشتاق المؤمنون على الأرض أن يكونوا واحدًا مع الخوارس الملائكيَّة في السماء. وكان ربط صلوات سرِّ الإفخارستيا بالثلاثة تقديسات، نتيجةً للشعور بأنه طالما أنَّ خُدَّام الله في السماء هم ملائكة لا يفترون النهار والليل من التسبيح بتلك التقديسات؛ لذلك فإنَّ على المؤمنين أن يرفعوا قلوبهم لكي يُشاركوا بالأساس في الليتورجيَّة السماويَّة.

فالهدف الجوهري للعبادة الليتورجيَّة ليس هو تحويل الكنيسة عمَّا هي عليه: كشعب الله وجسد المسيح وفي شركة مع الروح القدس، شاهدةً في هذا العالم على «فَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ» (١بط ٢: ٩)، ولا أن يكون عرْضًا أو تخطيطًا لعمل الثالوث القدُّوس الخلاصي للخليقة كلها؛ بل إنَّ القصد هو السموُّ بالكنيسة إلى ما وراء الحقيقة التاريخية وتوحيدها مع عالم الملائكة العُلوي. وعلى ذلك، فإنَّ تحديد صفة العبادة المسيحية من وجهة نظر سِفْر الرؤيا هو في غاية الأهمية.

فسِفْر الرؤيا يحوي أكثر النصوص أهميةً لفهم الليتورجيَّة الإفخارستيَّة، وما تتضمَّنه من تسابيح وتشكُّرات. فهو يوضِّح عمل الكنيسة المنتصرة في السماء التي تُعتَبَر جميع التجمُّعات التي على الأرض هي مجرَّد رمز لها.

في هذا السِّفْر نرى الجميع ملتفِّين حول المذبح السماوي الذي يقف أمامه جماهير المؤمنين الذين «عَدَدُهُمْ رَبَوَاتِ رَبَوَاتٍ وَأُلُوفَ أُلُوفٍ» (رؤ ٥: ١١)، والملائكة الخُدَّام في كلِّ مكان. هكذا نجد أنَّ سِفْر الرؤيا مُمتلئٌ بنصوص ليتورجيَّة مِمَّا كانت تستعمله الكنيسة الأولى. بل إنَّ البعض يرجِّح أنَّ عبادة الكنيسة الأولى وسِفْر الرؤيا قد أثَّر كلٌّ منهما على الآخر!

وإحدى الملامح السائدة على سِفْر الرؤيا بدون شكٍّ، هي التعبيرات الليتورجيَّة، كما إنَّ محتويات السِّفْر عاشها القدِّيس يوحنا الرائي في يوم الرب الذي تُقدِّم فيه الكنيسة ليتورجيتها الأسبوعيَّة الأساسيَّة. وقد تضمَّن السِّفْر تسابيحَ عديدة وإشاراتٍ مباشرة وغير مباشرة إلى الإفخارستيا، مثل: الأكل من شجرة الحياة والمَنِّ المُخْفَى (٢: ٧و١٧؛ ٢٢: ٢)، والعشاء مع الرب: «أَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي ... طُوبَى لِلْمَدْعُوِّينَ إِلَى عَشَاءِ عُرْسِ الْخَرُوفِ!» (٣: ٢٠، ١٩: ٩)؛ بالإضافة إلى مشاهد العبادة السماويَّة والذكصولجيات (انظر مثلًا: ٤: ٨-١١؛ ٥: ٨-١٤؛ ٧: ٩-١٢)، مع ملاحظة اقترانها برَفْع البخور الذي هو «صَلَوَاتُ الْقِدِّيسِينَ». وقد خُتِم السِّفْر بالبركة الأخيرة: «نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ» (رؤ ٢٢: ٢١). ففي الواقع، إنَّ سِفْر الرؤيا هو أكثر أسفار العهد الجديد التي تحوي نصوصًا ليتورجيَّة.

وفي حين أنَّ الأناجيل تصف كيف صار «الْكَلِمَةُ ... جَسَدًا»؛ فإنَّ سِفْر الرؤيا يُشكِّل امتدادًا لعلاقة الجسد بالكلمة، أي الكنيسة برأسها! والليتورجيَّة السماويَّة ليست منفصلة عن الأرضيات؛ بل هي تفسيرٌ لها من وجهة نظر الله، وتخليصٌ لها من القوَّات المضادة لله. وهذا هو الذي يُشكِّل المعنى الحقيقي للعبادة المسيحية بصفةٍ عامة.

"الخروج" الجديد والحَمَل المذبوح:

والليتورجيَّة تدور حول أحداث سِفْر الخروج، ونرى فيها الخلاص الأُخروي مُسْبقًا، باعتباره "خروجًا" جديدًا بمعونة المُنقِذ المُحرِّر الجديد (أي المسيح مقابل موسى في القديم) من خلال عهدٍ جديد. هكذا أيضًا سِفْر الرؤيا يصف الليتورجيَّة بنفس الطريقة، ولكنه يدور

حول الحَمَل المذبوح.

والرموز والصُّور الحيَّة التي يستعملها الرائي، تعكس تلك التي استعملها أنبياء العهد القديم عندما وصفوا جلال الله ومجده: مثل الظهور الإلهي (الثيئوفانيا) في سيناء، حيث «رَأَوْا إِلهَ إِسْرَائِيلَ وَتَحْتَ رِجْلَيْهِ شِبْهُ صَنْعَةٍ مِنَ الْعَقِيقِ الأَزْرَقِ الشَّفَّافِ، وَكَذَاتِ السَّمَاءِ فِي النَّقَاوَةِ ... وَحَلَّ مَجْدُ الرَّبِّ عَلَى جَبَلِ سِينَاءَ، وَغَطَّاهُ السَّحَابُ ... وَكَانَ مَنْظَرُ مَجْدِ الرَّبِّ كَنَارٍ آكِلَةٍ» (خر ٢٤: ٩ – ١٧)؛ ومثل رؤيا دانيال النبي لابن الإنسان (دا ٧: ١٣و١٤)؛ والسيرافيم ذوو الأجنحة الستة في رؤيا إشعياء النبي (٦: ٢)؛ والكائنات الحيَّة الأربعة في رؤيا حزقيال النبي (١: ٤ إلخ)، والتي صارت صفة شائعة في النصوص الرؤيويَّة منذ ذلك الحين مع منظر النار وقوس قزح اللذين يُشيران إلى «شِبْهِ مَجْدِ الرَّبِّ» (حز ١: ٢٧و٢٨).

ولا شكَّ أنَّ الليتورجيَّة السماويَّة في سِفْر الرؤيا لها صفةٌ كونية، وأنها امتدادٌ للعبادة المسيحية بصفةٍ عامة، وذلك إذا سلَّمنا بأنَّ الـ ٢٤ قسيسًا يُمثِّلون الكنيسة (أو كما يرى البعض أنهم يُمثِّلون أسباط إسرائيل الاثني عشر والرُّسُل الاثني عشر، أي إسرائيل القديم وإسرائيل الجديد)، وأنَّ الكائنات الأربعة الحيَّة تُمثِّل بقية الخليقة الحيَّة، والعناصر العديدة – مثل الحجارة الكريمة والأكاليل الذهبية والبروق والرعود والمصابيح والبحر – تُمثِّل الطبيعة غير الحيَّة، والسيرافيم يُمثِّلون القوَّات الملائكيَّة؛ أو بتعبيرٍ آخر: هذه جميعها تُمثِّل الخليقة كلها. ولأجل كلِّ ذلك، فقد رأت الكنيسة المرتشدة بالروح القدس أن تضع سِفْر الرؤيا في قمة قراءاتها الليتورجيَّة عندما توشك على الاحتفال بقيامة الربِّ باعتبارها قيامة أبديَّة، وذلك في الليلة التي دُعِيَت باسم السِّفْر نفسه: ليلة "أبوكالبسيس"!

ويذكر السِّفْر التوبة عن الخطية والتطهير من الناحية الليتورجيَّة بقوله: «الَّذِي أَحَبَّنَا وَقَدْ غَسَّلَنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ» (رؤ ١: ٥)، ويُسمِّي الكنيسة "كهنوتًا ملوكيًّا" بقوله: «جَعَلَنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً للهِ أَبِيهِ» (رؤ ١: ٦؛ ٥: ١٠)، لأن جمهور المؤمنين غير المُحصَى «... الْمُتَسَرْبِلُونَ بِالثِّيَابِ الْبِيضِ ... قَدْ غَسَّلُوا ثِيَابَهُمْ وَبَيَّضُوا ثِيَابَهُمْ فِي دَمِ الْخَرُوفِ» (رؤ ٧: ١٣و١٤).

ربط الأمور الأُخرويَّة بالتسابيح الليتورجيَّة:

كما إنَّ ما رواه السِّفْر عن الأمور الأُخرويَّة مثل السباعيات المُتلاحقة: الكنائس السبع (١: ٤ و١١)، والمنائر السبع (١: ١٢)، والكواكب السبعة (١: ١٦)، وسبعة أرواح الله (٣: ١ و٤:

٥)، والختوم السبعة (٦: ١)، والأبواق السبعة (٨: ١)، والملائكة السبعة (٨: ٢و٦؛ ١١: ١٥إلخ)، والضربات السبع (١٥: ٦)، والجامات السبعة (١٧: ١)، ثم رؤية السماء الجديدة والأرض الجديدة التي تحلُّ محل السماء والأرض الحاضرتين؛ كلُّ هذا ليس علامة انتقام أو إحباط أو رعب، بل بالحري نصرة ورجاء وخلاص. فهذه هي تسبحة المفديين المُتسربلين بثيابٍ بِيض، إذ يقولون بتهليل: «الْخَلَاصُ لِإِلهِنَا الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْخَرُوفِ» (رؤ ٧: ٩و١٠؛ ١٢: ١٠؛ ١٩: ١)، وهو ما يذكره القدَّاس الغريغوري عن السماويين: "يُرسلون تسبحة الغَلَبة والخلاص الذي لنا بصوتٍ ممتلئ مجدًا"!

فلا يمكن فَهم الأمور الأخرويَّة في هذا السِّفْر جيِّدًا إلَّا إذا ربطناها بتعابيره وتسابيحه الليتورجيَّة! وفي نفس الوقت، فإنَّ الغرض من الليتورجيَّة السماويَّة والمعنى الحقيقي للعبادة المسيحية، لا يمكن إدراكهما إن لم يرتبطا مباشرةً بالتاريخ، أي بما يحدث في هذا الدهر وما سيحدث في أواخر الأيام، حيث إنَّ القدِّيس يوحنا الرائي يرى أنَّ الليتورجيَّة والصلاة والله نفسه والسماء، وجميع الأمور التي لا يُنطَق بها والرهيبة التي تحدث هنا على الأرض؛ إنما هي غير منفصلة عن بعضها، بل هي تُشكِّل معًا أمرًا واحدًا!

والشكر الذي يُقدِّمه الـ ٢٤ قسيسًا لله «لأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الأَشْيَاءِ ... نَشْكُرُكَ أَيُّهَا الرَّبُّ ... لأَنَّكَ أَخَذْتَ قُدْرَتَكَ الْعَظِيمَةَ وَمَلَكْتَ» (رؤ ٤: ١١؛ ١١: ١٧)، وللمسيح: «لأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا للهِ بِدَمِكَ ... وَجَعَلْتَنَا لإِلهِنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً» (رؤ ٥: ٩و١٠)؛ يُشكِّل مرجعًا غير مباشر لِمَا جاء بعد ذلك في أوصاف القدَّاس التي قدَّمها القدِّيسون مثل: القدِّيسَيْن يوستينوس وهيبوليتس.

والعبادة في سِفْر الرؤيا تعني الإعلان عن سيادة الله وليس الإمبراطور الذي كان يُعبَد كإله، ولذلك يستعمل السِّفْر صفاتٍ لله تُعبِّر عن ذلك مثل «الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ παντοκράτωρ» (١: ٨؛ ٤: ٨؛ ١١: ٧ وغيرها)، وأيضًا «مُسْتَحِقٌّ ἄξιος» (٤: ١١؛ ٥: ٢-٩ وغيرها)، الذي هو الهتاف الذي كان معروفًا أنه يُقدَّم للإمبراطور عند اعتلائه العرش. وهذا يُشير إلى غلبة المؤمنين المُنحازين لله والحَمَل في الصراع مع الشيطان، وانتصارهم على العالم، وتحرُّرهم من الدنيويات؛ وكذلك يُشير إلى غلبة الكنيسة، التي رأسها هو المسيح الحَمَل المذبوح، على كلِّ عبودية للإمبراطور والعالم، والتمسُّك بمُلْك الله على القلب، أي بملكوت الله. **(البقية صفحة ٤٧)**

العذراء مريم
الأُمُّ والعَبْدَة والشفيعة

● **[افرحي يا مريم العَبدة والأُمُّ،**
لأنَّ الذي في حِجرِكِ
الملائكةُ تُسبِّحَهُ] (من ألحان القدَّاس الإلهي).

مريمُ أُمُّ يسوع:

لعلَّ من أَرقِّ الألقاب التي لُقِّبت بها السيِّدة العذراء، وأكثرها عُمقًا وحَميميَّة وتأثيرًا على النفس، هو لَقَبْ **"أُمّ يسوع"**، الذي وَرَدَ في سياق أحداث معجزة تحويل الماء خَمرًا في عُرس قانا الجليل، فقد كَتَبَ يوحنا الرسول بالروح: «... وَكَانَتْ **أُمُّ يَسُوعَ** هُنَاكَ» (يو ٢: ١). وقبل هذه الحادثة، سَبَق أنْ نادت أليصابات مريم – بروح الإعلان – قائلةً لها: «فَمِنْ أَيْنَ لِي هذَا أَنْ تَأْتِيَ **أُمُّ رَبِّي** إِلَيَّ؟» (لو ١: ٤٣).

كذلك تَعَدَّدت المرَّات التي تَمَّت فيها الإشارة لمريم العذراء بلقَب: **"أُمّه"**، (أي أُم يسوع)؛ وذلك كما وَرَدَ عند تقديم يسوع إلى الهيكل أمام سمعان الشيخ، بحسب ما تقضي به شريعة موسى عن كلِّ ذَكَرٍ فاتِح رَحِمٍ (انظر: لو ٢: ٣٤)؛ وعند هروب العائلة المقدَّسة إلى مصر والعَودة (انظر: مت ٢: ١٣،٢٠)؛ وعند ذهاب مريم ويوسف مع يسوع إلى هيكل أورشليم، وهو في عمر الثانية عشرة (انظر: لو ٢: ٤٨،٥١)؛ وفي عُرس قانا الجليل (انظر: يو ٢: ١)؛ وعند الصليب (انظر: يو ١٩: ٢٥،٢٦). بالإضافة إلى مَرَّاتٍ أُخرى كثيرة، وَرَدَت فيها الإشارة للعذراء بأنَّها: "أُمُّ يسوع"، أو "أُمُّه".

لذلك، فقد دعاها القدِّيس كيرلس الإسكندري، بكلِّ رصانة القول ووضوح الإيمان بلقب: **"الثيئوتوكوس"** أي **"والدة الإله"**، لأنَّها كانت أُمًّا للإله المُتجسِّد بالروح القدس. وصار هذا هو اللَّقب الكَنَسي الأكثر شُهرةً، والمُوثَّق في إيماننا المسيحي من قِبَل آباء

الكنيسة كلّهم. ناهيك عمَّا يَحمله لقب الأُم من دلالاتٍ عظيمة عن عُمق الدَّالة والعلاقة وقوَّة الشفاعة، التي للسيِّدة العذراء عند ابنها الحبيب يسوع، الذي قِيل عنه إنَّه كان مُطيعًا لها وليوسف، بما يَليق بطاعة الابن لوالديه، وهو مَنْ قَبِل شفاعتها من أجل أصحاب العُرس في قانا الجليل.

أُمُّ يسوع هي أُمُّنا نحن أيضًا:

أُمُومَة العذراء لنا هي ميراثٌ ثمينٌ موهوبٌ لنا من الله؛ نِلناه من قِبَل أمرين هامَّين:

الأمر الأوَّل: هو هِبة المسيح لنا بأنْ نكون **إخوةً له** بالروح، وهو ما أكَّده لنا بشخصِه أكثر من مرَّةً؛ فبعد قيامته، قال الربُّ لمريم المجدليَّة ومريم الأخرى: «... لَا تَخَافَا. اذْهَبَا **قُولَا لِإِخْوَتِي** أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الْجَلِيلِ، وَهُنَاكَ يَرَوْنَنِي» (مت ٢٨: ١٠). وأيضًا قوله لمريم المجدليَّة عند القبر: «... وَلكِنِ اذْهَبِي **إِلَى إِخْوَتِي** وَقُولِي لَهُمْ ...» (يو ٢٠: ١٧). كذلك كَتَبَ بولس الرسول بالروح عن الربِّ يسوع: «... فَلِهذَا السَّبَبِ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَدْعُوَهُمْ **إِخْوَةً ...**» (عب ٢: ١١)، وأيضًا قوله بالروح: «مِنْ ثَمَّ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ **يُشْبِهَ إِخْوَتَهُ** فِي كُلِّ شَيْءٍ...» (عب ٢: ١٧). فالربُّ يسوع قد وَهَبنا، برحمته واتِّضاعه، أن نُدعى **إخوةً له**، وعليه فقد صارت لنا أُمُّه العذراء **أُمًّا لنا** نحن أيضًا بالضرورة، وصرنا نحن أولادًا لها بالروح، وإخوةً ليسوع ابنها البِكر.

الأمر الثاني: إنَّنا نِلنا حقَّ أُمُومَة العذراء لنا؛ وذلك بسبب تَسليم الربِّ لأُمِّه العذراء إلى تلميذه يوحنا، وهو على الصليب؛ فقد خاطب السَّيِّد أُمَّه – مُشيرًا إلى يوحنا الرسول – بقوله: «**هُوَ ذَا ابْنُكِ**» (يو ١٩: ٢٦)، ومُخاطِبًا تلميذه يوحنا: «**هُوَ ذَا أُمُّكَ**» (يو ١٩: ٢٧). ولا شكَّ أنَّ يوحنا الرسول كان أفضل مثال للابن المُؤهَّل لهذه العطيَّة الثمينة، بأن تكون أُمُّ سَيِّده هي أُمَّه! ومِن ثمَّ، يُمكنه أن يَنعم بدفء بركتها وشفاعتها العظيمة بقُربه الدائم منها. فيوحنا كان – في الحقيقة – مُمثِّلًا ومندوبًا عن باقي التلاميذ، بل وعن كلِّ إنسان، في تَلَقِّي هذه العطيَّة من الربِّ نفسه، بأن تكون العذراء **أُمًّا** له؛ وعليه فقد صار لنا نحن أيضًا نفس النصيب في أُمُومَة العذراء المُطوَّبة لنا، بما تَحمله من كلِّ حقوق البَنين لنا لدى هذه الأُمِّ الطاهرة، ونِعمة التَّمتُّع بحنانها وحمايتها وشفاعتها، كأولادٍ لها، وكإخوةٍ روحيِّين لابنها يسوع.

أنشودة التسبيح والاتِّضاع (مريم العَبدَة):

عندما تَقابلت مريم مع أليصابات، تَحرَّك لسان أليصابات العجوز المُباركة بالروح، وصَاحت مُطوِّبةً العذراء، وشاهدةً بأنَّها «**أُمُّ رَبِّي**» (انظر: لو ١: ٤٣). حينئذٍ هتفت

العذراء المُتَّضعة بأعظم تسابيح الحمد والتعظيم لله، الإله القدوس الناظر إلى المُتَّضعين، وساجدة بخشوع القلب أمام مجده، داعِيَةً نفسها بـ: **«أَمَةِ** (عبدة) **الرَّبِّ»**، بقولها: «لأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى اتِّضَاعِ **أَمَتِهِ**» (لو ١: ٤٨)، وهو نفس ما نطقت به أمام الملاك المُبشِّر لها بالحَبَل الإلهي، عندما بشَّرها بتَجسُّد الربِّ منها، حيث قالت: «هُو ذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ» (لو ١: ٣٨). فمريمُ العذراء كانت واعيةً بالروح تمامًا أنَّها، وإن كانت مَدعوَّةً بالنِّعمة لتكون أُمَّ عمانوئيل (الكلمة المُتجسِّد)، فهي لا تزال عَبدَة الربِّ وأَمَتَه التي تحتاج إلى فدائه وخلاصه، المُزمِع أن يَصنعه لها ولكلِّ بني جِنسنا.

لذلك فنحن نُطوِّب العذراء، كأُمِّ الإله المُتجسِّد، أي "الثيئوتوكوس"، كما نَدعوها أيضًا العَبدَة (الأَمَة) التي تَنازَل الله ليَحلَّ بروحه عليها، ليأخذ منها جسدًا له؛ كما نُرتِّل في ألحان القدَّاس الإلهي: "افرحي يا مريم **العَبدَةُ والأُمُّ**"، وبها قد صار ابنها (أي المسيح) هو ابنًا وأخًا لكلِّ إنسانٍ مِنَّا؛ "لأَنَّه أخذ الذي لنا (أي جسد بشريَّتنا)، وأعطانا الذي له (أي أن نكون أولادًا لله بالروح القدس)" (مَردّ ثيئوتوكية الجمعة – الأبصلموديَّة المقدَّسة).

مريم العذراء شفيعة البشريَّة:

تَأخذنا الدهشة حينما نقرأ كلمات الروح على لسان يوحنا الرسول، عندما يكتُب عن كلمات الحوار الذي دار بين السيِّدة العذراء (الأُم) مع ابنها (يسوع)، وذلك إبَّان حضورهما العُرس في قانا الجليل. فقد بدأ الحوار أولًا بكلماتٍ بسيطةٍ ومباشرةٍ من العذراء ليسوع – حينما فَرغت الخمر في العُرس – فقالت له: **«لَيْسَ لَهُمْ خَمْرٌ»** (يو ٢: ٣)، وبعد ذلك قالت للخُدَّام: **«مَهْمَا قَالَ لَكُمْ فَافْعَلُوهُ»** (يو ٢: ٥). وهنا أَتمَّ يسوع أُولى آياته، بتحويل الماء خمرًا، مُظهِرًا مجده، فآمن به تلاميذه (انظر: يو ٢: ١١).

وفي هذه الآية، نَلمح أمرَين يَختصَّان بالعذراء، جَدِيرَين بالتأمُّل:

الأمر الأوَّل: إنَّ السيِّدة العذراء قد تكفَّلت بعَرض الأمر على الربِّ يسوع، والتَّشَفُّع لأصحاب العُرس، الواقعين في مأزِقٍ وحَرَجٍ شديدين، بسبب فراغ الخمر في العُرس. فصارت العذراء لهم شفيعةً عند ابنها، ذاك الذي تعرفه عن قُرب وخصوصيَّة أفضل من الجميع، لكونها أُمَّه المُلاصِقة له، والعارفة به، وربما المُطَّلِعة على أمورٍ وأسرارٍ تفوق تَصوُّرنا عن ابنها الحبيب، وهي مَنْ كانت تحفظ كلَّ هذه الأمور الحادثة مع ابنها في قلبها (انظر: لو ٢: ١٩)، هذا من ناحيةٍ. ومِن ناحيةٍ أخرى، يُذكِّرنا سلوك العذراء مع يسوع

بخصوص مشكلة أصحاب العُرس، بما صَنعه حزقيًّا الملك قديمًا؛ حينما نَشَر صحائف تهديدات ملك آشور لشعب الله، أمام الربِّ في هيكله المقدَّس. وإنْ كان سلوك العذراء في سُؤالها وطَلبها البسيط، كان يَحمل الكثير من قوَّة الطِّلْبة، ومن الثِّقة واليقين في قبول الربِّ يسوع لشفاعتها، كما يَظهر ذلك من قولها اللاحق للخُدَّام: **«مَهْمَا قَالَ لَكُمْ فَافْعَلُوهُ»**. فالحديث هنا كان مملوءًا بالثِّقة الكاملة في الاستجابة، أكثر من سلوك حزقيًّا الملك المُرتعِب قديمًا (انظر: ٢مل ١٩: ١٤ – ١٩).

الأمر الثاني: أَظهرت الآية عِظَم الدَّالة القَويَّة التي لمريم العذراء عند ابنها، الذي حَقَّق لها مُرادها، رغم إنَّها لم تُوَجِّه له طلبًا أو أمرًا – باعتبارها أُمَّه بالجسد – بل اكتَفَتْ بعرض الأمر والضِّيقة على الربِّ يسوع، وبكلِّ الثقة في دالتها عنده؛ أشارت للخُدَّام أنْ يَعملوا كلَّ ما سَيقوله لهم. وكانت على يقينٍ من قُدرة ابنها على عمل الآية، وفي استجابته لطلبها، بما لها من مكانة ودالة عنده. فَمريمُ بالحقِّ، قد بَرهَنت أنَّها هي الشفيعة المؤتَمنة، صاحبة الشفاعة القويَّة والمقبولة عند ابنها ومُخلِّصها.

كرامة العذراء في الكنيسة:

تَحظَى السيِّدة العذراء بكرامةٍ عظيمة، وتطويبٍ عالٍ في الكنيسة القبطيَّة، نالتهما بسبب سَبق تكريم الله لها؛ حيث نقول في صلاة باكر من الأجبية المقدَّسة، في تطويبنا للعذراء: [لأنَّ الآب اختارك، والروح القدس ظَلَّلكِ، والابن تَنازل وتَجسَّد منكِ، فاسأليه أنْ يُعطي الخلاص للعالم الذي خَلقه ...]. فالآب السماوي قد كَرَّم العذراء باختياره لها لتكون هي عجينة البشريَّة التي اتَّحد بها ابن الله بالروح القدس، ليَتجسَّد آخِذًا طبيعتنا البشريَّة. وهذا بحَدِّ ذاته أعظم تَمجيد وتَكريم من الله للعذراء ولكلِّ جنسنا، أن تُدعى العذراء أُمًّا لله بالجسد، وتصير أُمًّا لِمَنْ أنشأها وفداها. لذلك فلا عجب أن تبتهج العذراء بهذه العَطيَّة الفائقة وتُسبِّح الله بعد بشارة الملاك لها، وتطويب أليصابات نسيبتها لشخصها المُبارَك؛ فتهتف وتقول: «تُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبَّ، وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللهِ مُخَلِّصِي ... لأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى اتِّضَاعِ **أَمَتِهِ**. فَهُوَ ذَا مُنْذُ الآنَ **جَمِيعُ الأَجْيَالِ تُطَوِّبُنِي**» (لو١: ٤٦ – ٤٨).

كذلك، فالابن المُتجسِّد من الروح القدس ومن العذراء، قد أطاعها – بحسب التدبير – وخَضع لها وليوسف كابنٍ، حينما كان صَبيًّا (بحسب الجسد)؛ كما يَكتب لوقا الإنجيلي بالروح: «وَكَانَ خَاضِعًا لَهُمَا» (لو ٢: ٥١). وفي عُرس قانا الجليل قَبِلَ الربُّ يسوع

شفاعتها وطِلبتها من أجل أصحاب العُرس؛ فَحَقَّق لها مُرادها، وفَكَّ ضيقة المُحتَفلين إكرامًا لأُمِّه العذراء. وعند الصليب – وهو على أعتاب الموت بالجسد – لم يَنسَها؛ بل طَمأنها وسَلَّمها إلى تلميذه المحبوب يوحنا الرسول، لتكون له أُمًّا وسرَّ بركةٍ وشفاعةٍ دائمَين له، وللرُّسل الأطهار، ولنا نحن أيضًا من بعدهم.

لذلك كلِّه، لم يَغِبْ عن الكنيسة المُرشَدة بالروح القدس أنْ تتمسَّك بهذه العطيَّة الثمينة، وشفاعتها المقبولة، لتكون عَضدًا لها في جهادها، ونَصيرًا مُعتَبَرًا قبالة أعدائنا الروحيِّين، وشفيعًا مقتدرًا للكنيسة أمام ابنها الإله المُتجسِّد منها؛ لكي يتراءف على شعبه ويُنجِّيهم، ويغفر لهم خطاياهم، من قِبَل دَمه الثمين ورحمته الأبديَّة، وبشفاعة أُمِّه وأُمِّنا كلِّنا العذراء الطاهرة مريم، آمين.

****

وير القدّيس أنبا مقار

صَدَرَ حديثًا **من إعداد: أبناء المُتنيِّح أنبا إبيفانيوس**

الترجمة السبعينيَّة للكتاب المقدَّس

بالمقارنة مع النصِّ العبري والترجمة القبطيَّة

سِفْر المزامير والتسابيح

مع مقدّمة عامة عن السِّفْر

(يوناني – عربي)

٦٣٠ صفحة (من القَطْع الكبير – تجليد فاخر)

❖❖❖

وأيضًا: طبعة عربي

٤٧٢ صفحة (من القَطْع المتوسط)

****

من
التراث الكنسي

معرفة الله

كأسمى هدف وأعظم فرح للحياة

من خلال المحبَّة[١]

(١٤)

(٣) المحبَّة الكاملة تقود إلى معرفةٍ كاملة عن الله:

يُعلِّق الأب الأسقف كاليستوس وير Bishop Kallistos Ware على معنى هذا الجُزء مِن القدَّاس الأرثوذكسي الذي يتلو فيه الجميع معًا قانون الإيمان، فيقول:

”قانون الإيمان يخصُّ فقط أولئك الذين يعيشونه، وهذا يُعبِّر بالضَّبط عن الاتِّجاه الأرثوذكسي للتَّقليد؛ فإذا كنَّا لا نحبُّ بعضنا بعضًا، فلا يمكننا أنْ نحبَّ الله. وإذا كنَّا لا نحبُّ الله، فلن يُمكننا أنْ نُقدِّم اعترافًا وإقرارًا صادقًا للإيمان، ولا يُمكننا أنْ ندخل إلى روح التَّقليد، لأنَّه لا يوجد طريق آخَر لمعرفة الله سوى أنْ نحبَّه“[٢].

وبحسب كلمات الأب سلوان Fr. Silouan:

”كلَّما كانت محبَّتنا أكثر كمالًا، كلَّما كانت معرفتنا لله أكمل“.

ثمَّ يمضي ويستمر ليشرح ما تعنيه المحبَّة المسيحيَّة الحقيقيَّة، فيقول:

”نعمة الله تُعلِّم المسيحيِّين أنْ يحبُّوا أعداءهم، لأنَّ مَن ليست له محبَّة لأعدائه لا يمكنه أنْ يأتي إلى معْرفة الله، الذي مات على الصَّليب مِن أجل أعدائه، وأعطانا نفسه مثالاً بوصيَّة أنْ نحبَّ أعداءنا“[٣].

(٤) الحقُّ يمكن تصوُّره فقط في الحُبِّ:

أُحِبُّ كلمات الأب بول فلورينسكي Paul Florensky التي يقول فيها:

---

(١) بتصرُّف عن كتاب بعنوان:

Anthony M. Coniaris, *Knowing God, Life's Highest Purpose & Joy*.

(2) Kallistos Ware, *The Orthodox Church*, Penguin Books, New York. NY. 1991.

(3) Fr. Silouan the Athonite, Archimandrite Sophrony. SVS Press. Crestwood, NY. 1991.

"معرفة الحق يُمكن أنْ تكون فقط مِن خلال... اكتساب المحبَّة، فهي الجوهر الإلهي: فالذي ليس مع الله لا يعرف الله. في المحبَّة، وفقط في المحبَّة، يمكن تصوُّر معرفة الحق الفعلي؛ ومِن جهةٍ أُخرى، معرفة الحق تُسْتَعْلَن فقط بالمحبَّة: فالذي مع المحبَّة لا يمكنه إلَّا أنْ يُحبَّ ... الحقُّ الظَّاهر والمُعلَن هو المحبَّة. المحبَّة المُدرَكة هي الجمال. المحبَّة هي عمل الله فيَّ وعملي أنا في الله. هذا النَّشاط المُتبادَل هو أساس شركتي مع المحبَّة الإلهيَّة والوجود؛ أي، مع المحبَّة الجوهريَّة والأساسيَّة، لأنَّ كمال الحقِّ المُطلَق الإلهي يُعْلِن ذاته بدقَّة في المحبَّة"[٤].

(٥) الله يُفْهَم بالمحبَّة وليس بالفِكر:

كتب القدِّيس مكاريوس (المصري) St. Makarius يقول:

[بالمحبَّة فقط، يُمكن للنَّفس أنْ تُدْرِك الله].

كلمات القدِّيس مكاريوس هنا تتَّفق مع ما يقوله كتاب: "سحابة عدم المعرفة Cloud of Unknowing"[٥]:

"هو (الله) يمكن أنْ يُحَبَّ حسنًا، ولكن ليس بالفكر. يمكن بالحُبِّ أنْ ننالَه أو نمسكه، ولكن ليس بالفكر".

الله يمكن أن يُدْرَك وأنْ يُعرَف بالحب، ولكن ليس كنتيجة فكرٍ منطقيٍّ.

«كُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ وَيَعْرِفُ اللهَ. وَمَنْ لَا يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ» (١يو ٤: ٧ و٨).

«وَعَلَى جَمِيعِ هذِهِ الْبَسُوا الْمَحَبَّةَ الَّتِي هِيَ رِبَاطُ الْكَمَالِ» (كو ٣: ١٤).

معرفة الله، بحسب آباء الكنيسة، وخصوصًا القدِّيس سلوان، تعني الاشتراك في محبَّة المسيح، وعلى الخصوص في محبَّة الأعداء:

"اكتمال المحبَّة، اكتمال المعرفة".

كلمات الأب فلاديمير لوسكي Vladimir Lossky تتوافق مع ما نقوله هنا:

---

(4) Paul Florensky, *Pillar and Ground of Truth*, Princeton University Press.1997.

(٥) كتاب: "في الصلاة والتصوُّف المسيحي" لكاتب إنجليزي مجهول من القرن الرابع عشر.

"المسيحيَّة ليست مدرسة فلسفة للبحث في افتراضاتٍ غامضة، ولكنَّها شركةٌ في الإله الحي".

ويمكنني أنْ أُضيف هنا جملة: إنَّها شركة محبَّة مع الإله المُحبِّ. سوف نعرف الله فقط عندما نحبُّه أكثر مِمَّا نحب أنفسنا، وكلَّما كانت محبَّتنا أكثر كمالاً، فمعرفتنا له سوف تكتمل.

(٦) معرفة الله تتلاقَى مع المحبَّة:

كلمة "يعرف know" بالإنجليزيَّة قد تكون خادعة ومُضَلِّلة، لأنَّه مِن الممكن أنْ يكون لها معانٍ مختلفة. معرفة الله لا يمكن أنْ تأتي مِن خلال أشكالٍ للمعرفة البشريَّة، مِثل خِبْرة حسيَّة، أو سؤال علمي، أو فكر منطقي.

إرما زاليسكي Irma Zaleski، التي تكتب عمَّا تُشير إليه الأُم ماكرينا Mother Makrina، تقول:

"ومع ذلك يوجد معنًى آخَر لكلمة: "معرفة"، وهي أقرب للمعنى المقصود للُّغة العبريَّة والنَّص اليوناني عندما تتكلَّم عن الله. فالكلمة الكتابيَّة (المُتعلِّقة بالكتاب المقدَّس) التي نترجمها إلى "المعرفة" فيما يتعلَّق بالله، مِن الأوفق أنْ تُترجم إلى "يحصل على علاقة معرفة"، بمعنى أنْ يُعْرَف شخص، وبالأخص شخص نحبُّه. ومن هنا، فالكتاب المقدَّس يتكلَّم عن رجل "يعرف" امرأة، وليس فقط بمعنى اتِّحادهما الطَّبيعي، بل أيضًا بمعنى علاقة الحبِّ الكاملة.

وبنفس المعنى، في التَّقليد الكتابي، عندما نتكلَّم عن "معرفة الله"، فنحن لا نقصد المعرفة المُستقاة مِن الدِّراسة، أو التي نحصل عليها مِن خلال التفكير العقلاني، ولكن معرفة توجد في العلاقة الشخصيَّة مع الله، في تلاقٍ للحبِّ، كما يقول كتاب: "سحابة عدم المعرفة Cloud of Unknowing**":**

"مِن خلال النِّعمة، يمكن للإنسان أنْ تكون له معرفة للخلائق الأخرى وأعمالها، بل ولأعمال الله نفسه، ويمكنه أنْ يُفَكِّر في كلِّ هذا. ولكن بالنِّسبة لله نفسه، لا يمكن للإنسان أنْ يفكِّر... لأنَّه يمكنه أنْ يُحبَّه حسنًا، ولكن لا يمكنه أنْ يُفَكِّر فيه". معرفة الله، هي معرفة الحب"[٦].

(6) Irma Zaleski, *Who Is God? The Soul's Road Home*, New Seeds. Boston, MA. 2006.

دراسات كتابيَّة

"داود قال بالرُّوح القدس"

(مر ١٢: ٣٦)

(٢)

❖✚❖

تطرَّقنا في المقال السابق (عدد نوفمبر ٢٠٢٤م، ص ٣٠) للجانب الأوَّل من قراءتنا لسِفْر المزامير، وهو الجانب الذي نتقابل فيه مع ربِّنا ومخلِّصنا يسوع المسيح. وقد رأينا كيف أنَّ سِفْر المزامير – لا سيَّما في نسخته السبعينيَّة التي تَبَنَّتها الكنيسة منذ نشأتها، واستودعَتها كرازتها وصلواتها وتعليمها – هو بمثابة إنجيلٍ يُبشِّر بالمسيح قبل مجيئه، مُخبِرًا بأسرار تجسُّده وحياته وموته وقيامته. هذا الإنجيل العجيب المكتوب قبل الوقت، والذي يُشير بالإصبع إلى المسيح، أوَّل مَن فتح ختومه هو المسيح نفسُه، ابن داود وربُّه، وذرِّيَّتُه وأصلُه! ولا عَجَب بعد ذلك أن نرى التلاميذ يقتفون أثر سيِّدهم في اقتباسهم من المزامير في كرازتهم، وأن نرى الكنيسة تحفظ هذا التقليد في صلواتها وتعليمها على مدى الأجيال. على أنَّه بالإضافة إلى كلِّ ما سبق، والذي يمكن أن نضعه تحت الجانب الإيماني، الكنسي، العقيدي؛ نجد أنَّ هذا السِّفْر العجيب تغلغل أيضًا في حياة المسيحي الفرديَّة، فغدا هو منبع الصلوات والتضرُّعات في البراري والمخادع، عند النُّسَّاك والعابدين، ثمَّ عند كلِّ مسيحيٍّ يشتهي إطالة وقت وجوده في حضرة الرب. وهنا يتكشَّف لنا الجانب الآخر من سِفْر المزامير، حين يصبح مكانًا لمُقابلتنا مع أنفسنا، فنراها في بؤسها وشقائها ونطلب من أجل شفائها وخلاصها.

ثانيًا: المقابلة مع ذواتنا

كان سِفْر المزامير – ولا يزال حتَّى اليوم – هو الكتاب الذي يُصلِّي به جميع **آبائنا القدِّيسين** العظام الذي خَطُّوا لنا طريق التقوى. لم يكن لدى الآباء النُّسَّاك الأوائل أقوى ولا أحبَّ ولا أعزَّ من سِفْر المزامير. كان سَمِيرَهم في ضَجَرِهم، ورفيقَهم في غربتهم، وعَونَهم في شدائدهم. عند قراءتنا لسيرة **القدِّيس أنطونيوس** أبي الرُّهبان، نرى جَلِيًّا أنَّ المزامير هي العمود الفقريّ لصلاته ولحياته النُّسكيَّة. كان دائمَ التَّرتيل بها، وكان يوصي

أولاده بها: "واظبوا على الصلاة، **رنِّموا المزامير**" (حياة القدِّيس أنطونيوس: فصل ٥٥). كانت سلاحه البتَّار ضدَّ الشياطين، التي كانت تهرب وتختفي بمجرَّد ترتيله للمزامير. مرَّةً ظهر له الشيطان صارًّا على أسنانه غيظًا من إيمان القدِّيس وتقواه، "فحالما رَتَّل القدِّيس: «الربُّ لي معين، وأنا أرى بأعدائي» (مز ١١٧: ٦س)، هرب (الشيطان) في الحال، مرتجفًا من الكلام، ولم يجسر حتَّى على الاقتراب إلى الرَّجُل" (فصل ٦). مرَّةً أخرى جاءته شياطينُ كثيرة مزمجرةً، تَصْفِرُ وترقص، لكن لمَّا صلَّى "**مرنِّمًا المزامير**، بدأَت تبكي وتنتحب، كأنَّ قوَّتَها قد خانتها" (فصل ٣٩). وهكذا نجد مثل هذا القتال متكرِّرًا على مدى صفحات سيرة القدِّيس أنطونيوس: الشَّيطان يهاجم ويحارب، والقدِّيس يردُّ بالمزامير وبكلمة الله، فيرتدُّ العدوُّ خائبًا على أعقابه. بهذا نرى أنَّ المزامير، منذ وقت القدِّيس أنطونيوس، أوَّل مَنْ بدأ طريق الرهبنة، أخذَت مكانها البارز في الحياة النُّسكيَّة، جنبًا إلى جنبٍ مع علامة الصليب ومع اسم يسوع المسيح، كسلاحٍ كاملٍ لا غِنًى عنه لكلِّ مَنْ يريد أن يسلك طريق القداسة.

لا عَجَبَ، إذًا، أن نرى امتداد هذا الميراث إلى الجيل الرَّهبانيِّ الأوَّل في برِّيَّة شيهيت تحت قيادة القدِّيس العظيم **أنبا مقار** تلميذ أنبا أنطونيوس. مرَّة كان أنبا مقار جالسًا بالإسقيط، فإذا بشابَّيْن غريبَين مُقْبلَين إليه يريدان الرهبنة: القدِّيسان العظيمان مكسيموس ودوماديوس. كيف سَلَّمَهما القدِّيس الرَّهبنة؟ ماذا قال لهما في كيفيَّة قضاء يومهما؟ كيف يُصلِّيان ويقرآن ويعملان؟ للأسف لم يُذكَر هذا بالتَّفصيل في الكُتُب، إلَّا أنَّنا نعرف أمرًا يقينًا، أنَّ تلاوة المزامير كانت أمرًا أساسيًّا ومحورًا جوهريًّا ورُكنًا لا بديلَ عنه في تسليمه الرهبنة لهما. كيف عرفنا هذا؟ في زيارته الشَّهيرة لهما بعد ثلاث سنوات من تسليمه أصول الرهبنة لهما، فبعد انقضاء اللَّيلة التي باتها معهما، يَقُصُّ لنا أنبا مقار بنفسه ماذا جرى: "قال لي الأكبر: "أتشاءُ أن نقولَ **الاثني عشرَ مزمورًا**؟". فقلتُ: "نعم". فقرأ الصغيرُ خمسةَ مزاميرَ وفي نهايةِ كلِّ ستةِ استيخونات الليليويا واحدة، ومع كلِّ كلمةٍ كان يقولها كان يبرزُ من فمِهِ شِهابُ نارٍ يصعدُ إلى السماءِ. كذلك الكبيرُ إذ كان يفتحُ فمَه ويقرأ كان مثلُ حبلِ نارٍ خارجًا وصاعدًا إلى السماء" (بستان الرهبان، قول ٤٤). ها هي قوَّة المزامير: ليست فقط سلاحًا نُدافع به عن أنفسنا ضدَّ هجمات العدوِّ، لكنَّها أيضًا "شِهاب نارٍ وحَبل نار" تربطنا بالسماء وتُلهبنا بالحبِّ الإلهيِّ. هي حصنٌ في وجه

العدوّ، وهي أيضًا وقودٌ يُضرِم قلوبنا نحو الربِّ. من هنا جاءت أهمِّيَّتها، بل عدم إمكانيَّة الاستغناء عنها. إنْ كان يمكن الحديث عن عدد المزامير التي تُتلَى، فالبعض يرتِّل أقلَّ أو أكثر من البعض الآخَر، إلَّا أنَّه لا يمكن بأيِّ حالٍ الحديث عن الاستغناء عنها. ها هو **القدِّيس برصنوفيوس**، أحد أشهر آباء الرَّهبنة وأكثرهم اعتدالًا وحكمةً ومرونةً، يُعطي لسائله الحريَّة في عدد المزامير التي تُتلى، لكنَّه لا يُجيز له تركها: "لا تجعل ذاتك تحت رِباط قانون، ولكن اعملْ بقدرِ ما قوَّاك اللهُ على فعله، **ولا تترك تلاوة المزامير** ... لأنَّ آباءنا كانوا يجتازون النَّهار كلَّه: في القراءة وقتًا، وفي تلاوة المزامير وقتًا، وفي تعلُّم حاجات طعامهم وقتًا آخر، وهكذا" (البستان، قول ٢٦٨).

ثَمَّةَ وجهٌ آخرُ شهيٌّ للمزامير، من شأنه أن يُشجِّعنا جميعًا على ترتيلها أيًّا تكُن حالتنا، وهو أنَّ لنا أن نتلوها في كلِّ حينٍ، **وقتَ قيامنا وأيضًا وقتَ سقوطنا**، فهي لها قدرة إلهيَّة عجيبة على تتويبنا وإرجاعنا إلى حضن الآب. فلنأخذ مثالَين يُتَعجَّب لهما يُبرزان قوَّة المزامير في هذا الشأن: **المثال الأوَّل**، هو عن راهبٍ مسكينٍ ضعيف كان من شدَّة القتال يسقط في الزِّنى مرارًا كثيرة، لكنَّه رغم هذا كان يُغصِب نفسه في الصلاة، ويصنع قانونه وسواعِيَه بحرص. فضجر الشَّيطان من حُسْن رجائه وتجاسره المحمود، وظهر له وجهًا لوجهٍ **وهو يُرتِّل مزاميره**، وقال له: "أمَا تَخزى أن تقف بين يدَي الله بالجملة وتُسَمِّي اسمَه بفمِك النَّجس؟" فقال الأخ: "ألستَ أنت تضرب مرزبَّة وأنا أضرب مرزبَّة؟ أنت توقعني في الخطيَّة، وأنا أطلب من الله الرَّحوم أن يتحنَّن عليَّ، ولا أقطع رجائي من إلهي". فكانت النتيجة الباهرة لهذا الرجاء الذي يتحدَّى أبشع الخطايا أنَّ الشَّيطان اندحر وانهزم شرَّ هزيمة، وقال للمُجاهد: "من الآن لا أعود إلى قتالك، لئلَّا أُسبِّب لك أكاليل في رجائك بإلهك" (البستان، قول ٦٩٢). فلنحبَّ، إذًا، تلاوة المزامير ولنواظب على تلاوتها في كلِّ حين، حتَّى وقت ضعفنا وسقوطنا، فهي بمثابة "المرزبَّة" الإلهيَّة التي تسحق وتُحطِّم "مرزبَّة" الشَّيطان.

أمَّا **المثال الثاني** الذي نختم به حديثنا، فهو بالفعل "مِسكُ الختام"، وهو يأتي ليؤكِّد ما قلناه للتوِّ بشأن قوَّة المزامير وشدَّة تأثيرها. هذا حدث أثناء مهِمَّة خطيرة قام بها من أجل المسيح الأنبا سيرابيون. فقد حدث أثناء عبوره بقريةٍ أنَّه رأى امرأةً زانيةً على باب ماخور، فتحرَّكَت أحشاؤه بالرحمة والشفقة على هذه المرأة، وعَزَم في قلبه على إنقاذها

مِمَّا هي فيه مهما كلَّفه هذا، وعقد النيَّة على الدُّخول في قلب الأتون وإخراجها منه. فالتفَت حينئذٍ إليها وقال لها: "انتظريني عشيَّة، لأني عازمٌ على المجيء إليكِ لأقضي هذه اللَّيلة بقربك"، فأجابَته: "حسنًا، يا راهب، حسنًا". وبالفعل توجَّه أنبا سيرابيون إليها حسب الموعد، مُمتلئًا رجاءً في إلهه وفي سلاحه. وما هو هذا السلاح؟ **المزامير**. عندما أغلقَت المرأة الباب، قال لها: "تمهَّلي قليلًا، لأنَّ لنا سُنَّةً لا بدَّ أن أعملها أوَّلًا"، **وابتدأ من أوَّل الإبصالتس مُرتِّلًا**، وفي نهايةِ كلِّ مزمورٍ كان يقول: "يا ربُّ ارحم هذه الشقيَّةَ وردَّها للتوبةِ لتخلص". فحدثَت المعجزة وتخشَّعَ قلبُها، وابتدأَت ترتعد وتَفزَع حتَّى سقطت على الأرضِ من شدَّة فزعها. فلما أكمل الشيخُ **الإبصالتس أجمع**، أقامها، وأخذها إلى دير عذارى وسلَّمها للرئيسةِ، فأكملَت حياتَها هناك في خوف الله ومرضاته (البستان، قول ٢٥١).

ختامًا، ها نحن نرى كيف أنَّ المزامير هي لنا ينبوعٌ لا يَنْفَدُ، ومَعينٌ لا يَنضُبُ، ولُجَّةٌ لا يُسبَرُ غَورُها. فسواءٌ وضعناها على فَمِ إلهنا وربِّنا ومخلِّصَنا يسوع المسيح، ومَيَّزْنا فيها النُّبوَّات التي تتحدَّث عن حياته على الأرض منذ تجسُّده الطاهر وحتَّى موته المُحيي وقيامته وصعوده وجلوسه عن يمين الآب؛ أو وضعناها على أفواهنا نحن، ورُحْنا نرنِّم بها أغنيةً وقت الفرح، ونتضرَّع بها صلاةً وقت الشِّدَّة، ونتمسَّك بها مرساةً وقت الخطر؛ ففي كلِّ الأحوال نحن رابحون، ومغبوطون. حينما نرى المسيح مُتكلِّمًا، فنحن ندخل للتَّوِّ في شَرِكَةٍ معه، فنعرفه ونطَّلع على أسراره وأسرار أبيه الصَّالح. وحينما نضع الكلمات على أفواهنا ونُخرِجها من قلوبنا، فنحن نتَّصل بداود الحقيقي، وندخل في رعيَّته، ونغتصب أنفسنا إلى ملكوته. فالمزامير تتكلَّم عن يسوع المسيح، وتتكلَّم أيضًا عن كلِّ واحدٍ منَّا؛ تتكلَّم عن يسوع المسيح الآتي في الجسد بآلامه وأمجاده، وتتكلَّم عنَّا في جميع ظروف حياتنا بمراراتها وحلاوتها؛ تتكلَّم عن يسوع المسيح وعن أعمق أسرار قلبه وعلاقته الأزليَّة بأبيه، وتتكلَّم عنَّا وعن أنَّات نفوسنا وسرائر ضمائرنا وخَلَجَاتِ قلوبنا. فكلُّ مَن يريد أن يعرف الله ويعرف نفسه، فليواظب على هذا السِّفْر النَّفيس، لا للقراءة والدَّرس فقط؛ بل للصَّلاة والحياة. ولربِّنا يسوع المسيح المجد في كنيسته مع أبيه الصالح والروح القدس، آمين.

بحث تاريخي

أديرة وكنائس أبنوب الأثريَّة

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي

أستاذ الإرشاد السياحي والآثار والفنون القبطية

بكلية الآداب – جامعة عين شمس

أبنوب:

تُعتَبَر أبنوب من أهم المراكز الإدارية المصرية في محافظة أسيوط. واسم هذا المركز مُستمدٌّ من كلمتَين في اللغة المصرية القديمة، وهما "آب" و"نوب" أي "أرض الذهب". ومن أهم المنشآت الأثريَّة القبطية بهذا المركز الإداري الهام، نُشير إلى:

أولًا: دير الشهيد مار مينا العجائبي العامر المعروف بالدير المُعلَّق:

أشار المؤرِّخ المقريزي إلى هذا الدير في مؤلَّفه المعروف باسم: "الخطط المقريزية". ويُعتَبَر دير الشهيد مار مينا العجائبي العامر، واحدًا من أهم الأديرة القبطية المُعلَّقة في حضن الجبل، وهو على ارتفاع ما يقرب من ١٧٠مترًا في صعيد مصر. وقد عاش هذا القدِّيس في مغارة جبليَّة في هذه المنطقة.

ويُعتَبَر الحصن من أهم مباني هذا الدير، حيث شيَّدته الإمبراطورة هيلانة بشكلٍ مربع من ثلاثة طوابق. ويوجد مدخل الحصن في الطابق الأول، يليه سُلَّم يتمُّ الصعود من خلاله إلى الطابق الثاني، حيث توجد كنيسة مجدَّدة حديثًا للبابا أثناسيوس الرسولي وهي كنيسة المزار، وتُعرَف أيضًا باسم: "كنيسة مار مينا"، ومحفوظٌ بها بعض رفات الشهداء الأقباط، وبالأخص مار مينا العجائبي. وبالحصن، توجد – كما قلنا – كنيسة الأنبا أثناسيوس البابا العشرون، بالإضافة إلى وجود قلاية صخرية لرئيس الدير. وفى الطابق الثالث والأخير، توجد بعض قلَّايات الرهبان، بالإضافة إلى مصنع للشمع وورشة للصدف. وفي سنة ١٩٩٨م، تمَّ ترميم حصن الدير تحت إشراف متخصِّصين من هيئة الآثار المصرية.

ومن أهم المباني الأخرى بدير الشهيد مار مينا العجائبي العامر المعروف بالدير المُعلَّق في أبنوب:

١. الكنيسة الأثريَّة أو كنيسة المغارة، وهى مُكرَّسة للشهيد مار مينا العجائبي بأبنوب. كما إنَّ بها حامل أيقونات أثري وبعض الأيقونات النادرة. ويعتَقِد البعض أنَّ باب هيكل هذه الكنيسة، يتشابه مع باب النبوَّات الموجود حاليًّا في خورس الكنيسة الأثريَّة للعذراء مريم في دير السريان العامر بوادي النطرون.

٢. الكنيسة الأثريَّة الثانية، وتحمل اسم العذراء مريم ورئيس الملائكة ميخائيل. وتتميَّز هذه الكنيسة بأن مذبحها صخري.

٣. بيت الخلوة.

٤. مجمع الدير.

٥. مجموعة من القلَّايات القديمة المُوزَّعة حول الدير أو أعلى الجبل. وما زال منها ما يستخدمه بعض الرهبان للخلوة.

٦. استراحة أو مضيفة الدير.

دير الشهيد مار مينا العجائبي العامر المعروف بالدير المعلَّق.

ar.wikipedia.org/wiki/ دير- مار مينا - المُعلَّق ٢٠٢٤/١٠/٢٢

ثانيًا: دير الجبراوي:

طبقًا لِمَا ذَكَره المؤرِّخ المملوكي تقي الدين المقريزي، بُنِيَ هذا الدير على بُعْد ثمانية كيلومترات تقريبًا شمال شرق مركز أبنوب في مواجهة منفلوط. وكان يوجد في هذا الموقع الأثري الهام، دير القدِّيس مار بقطر بن رومانوس ولورا بالقرب من الجبل. وفيما بعد، شُيِّدَت قرية مسيحية مكان دير الشهيد مار بقطر.

وكنيسة دير الجبراوي الحالية الحديثة في وسط القرية. وترجع إلى القرن السابع عشر الميلادي، وبها اثنتا عشرة قبَّة. وقد أشار إلى مبانيها السابقة كثيرٌ من الرحَّالة والباحثين[1]. وفي

(1) J.Vansleb, *Nouvelle relation en forme de journal d'un voyage fait en Egypte en* 1672 et 1673, Paris, 1677; Translated as *the Present State of Egypt*, London, 1678; A. Amélineau, *Contes et romans de l'Égypte chrétienne*, 2 vols., Paris, 1888; A. Amélineau, *La géographie de l'Egypte é l'époque copte*, Paris, 1893; N. de G. Davis, *The Rock Tombs of Deir el-Gabrawi*, 2 vols., London, 1902; E.A. T.W., Budge, *Coptic Martyrdoms*, London, 1914, pp. 1-45; J. Drescher, "Apa Claudius and the Thieves", *BSAC* 10, 1942, p. 77; 1944, p. 65; Otto Meinardus, *Christian Egypt. Ancient and Modern*, Cairo, 1960, p. 277; 2nd ed., Cairo, 1977, 386-387; R.G. Coquin & S.J. Maurice Martin, "Dayr al-Jabrawi, History", *CoptEnc.*3, New York, 1991, 810b-813a.

الناحية الشرقية من هذه الكنيسة، توجد حِنْيَة تتشابه في طرازها المعماري مع الحِنْيات الموجودة حاليًا في الدير الأبيض للقدِّيس شنودة رئيس المتوحِّدين بسوهاج. كما توجد بقايا بعض الأعمدة التي يُعتَقَد أنها من عمارة الكنيسة الأثريَّة القديمة لدير الجبراوي.

كما تجدر الإشارة إلى وجود كنيسة أُخرى نُحِت جزءٌ منها في صخر الجبل الموجود في شرق دير الجبراوي. ويَعْتَقِد البعض أنها كنيسة للقدِّيسة بربارة، بالإضافة إلى وجود بعض القلَّايات بالقرب منها[٢]. كما إنَّ الجبل به كثير من المقابر المصرية القديمة. وفى أسفله، عُثِرَ على بقايا دير قديم من الطوب اللَّبن، إلى جانب وجود صلبان قبطية حمراء اللون في مقبرة "أبا" الموجودة في نفس المكان.

ثالثًا: دير مار بقطر شمال أبنوب[٣]:

في سنة ١٦٧٣م، زار الرحَّالة فانسليب كنيسة Musie، وأشار إلى كنيسة بقطر شو Saint Victor of Shu المُشيَّدة على بُعْد خمسة كيلومترات في الناحية الشمالية من مركز أبنوب[٤]. كما أشار المقريزي إلى هذا الدير القبطي الهام، غير أنه من عمارته الأولى لم يتبقَّ أيُّ أثرٍ، باستثناء كنيسة أُعيد بناؤها في القرن السادس عشر الميلادي على بُعْد ما يَقرُب من خمسة كيلومترات شمال أبنوب، وعلى ضفاف النيل في اتجاه دير الجبراوي.

وتُعرَف هذه الكنيسة باسم: "كنيسة مار بقطر" الذي كان مُحاربًا في قلعة شو في شرق القرية المعروفة بهذا الاسم طبقًا لِمَا أشار إليه محمد رمزي[٥]. كما أشار سومر كلارك[٦] إلى كنيسة بقطر بشو. ووصف الباحث الألماني أوتو ميناردوس كذلك قرية شو في أسيوط[٧]،

---

(2) R.G. Coquin & S.J. Maurice Martin, "Dayr al-Jabrawi, History", *CoptEnc*.3, New York, 1991, 810b-813a; P. Grossmann, "Dayr al-Jabrawi, Architecture", *CoptEnc*. 3, New York, 1991.

(٣) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"* ، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٦٦.

(4) J.Vansleb, *Nouvelle relation en forme de journal d'un voyage fait en Egypte en* 1672 *et* 1673, Paris, 1677, p. 366; Translated as *The Present State of Egypt*, London, 1678, p. 210.

(5) Mohamed Ramzi, *Al-Qamus al-Goghrafi li'l bilad al-misriya*, 3 Vols. Cairo, vol.2/4, p. 6.

(6) S. Clarke, *Christian Antiquities in the Nile Valley*, London, 1912.

(7) A. Rabbat, *Documents inédits pour server à l'histoire du Christianisme en Orient*, vol.1, Beirut, 1905, pp. 194-314; U. Buri, "L'unione de la Chiesa Copta con Roma sotto Clemente VIII", *Orientalia Christiana* 23/2, Rome, 1931; Otto Meinardus, *Christian Egypt. Ancient and Modern*, Cairo, 1960, 278-279; 2nd ed., Cairo, 1977, pp. 387-388; R.-G. Coquin & S. J. Maurice Martin, "Dayr Buqtur of Shu", *CoptEnc*.3, New York, 1991, 797b-798a.

حيث أكَّد على أنه كان يتمُّ الاحتفال في دير هذه القرية بمولدٍ، وربما يقصد بذلك عيد من أعياد أحد الشهداء أو القدِّيسين الأقباط. كما يؤكِّد البعض أنَّ الكنيسة المُشيَّدة حاليًا في دير مار بقطر بأبنوب ترجع إلى القرن الثامن عشر الميلادي – التاسع عشر الميلادي، حيث إنها من طراز الاثنتي عشرة قبَّة. ويوجد بها صندوق خشبي ذو زخارف بديعة لحفظ المقتنيات أو المخطوطات الثمينة. كما إنَّ بها كذلك بعض الأيقونات النفيسة، وهي متنوعة في موضوعاتها الزخرفية التي تعكس سِمَات فنية مختلفة.

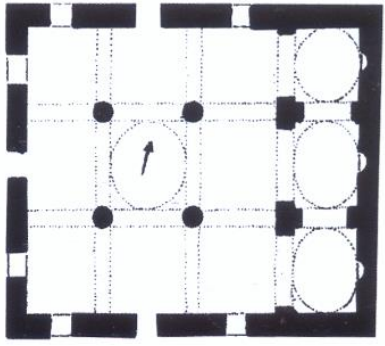

دير مار بقطر بشمال أبنوب. نقلًا عن الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٦٦.

رابعًا: دير "أبو إسحق" بعرب العوامر بأبنوب[٨]

ومن غير المعروف مَنْ هو "أبو إسحق" الذى أُطلِق اسمه على هذا الدير، وربما كان شهيدًا أو قدِّيسًا محليًّا في هذه المنطقة الأثريَّة الهامة. وقد أُعيد بناء كنيسة هذا الدير بين قرية ʿArab Mitir وأيضًا قرية ʿArab al-ʿAwamir في مركز أبنوب[٩]. وتُحيط بدير "أبو إسحق" بعرب العوامر المُشيَّد في الناحية الشمالية الغربية من مركز أبنوب، جبَّانة مسيحية، مِمَّا يؤكِّد أنَّ هذا الموقع الأثري كانت له أهمية عظيمة في العصر البيزنطي، حيث كانت هناك تجمُّعات قبطية كبيرة حينذاك. كما إنَّ اكتشاف بعض أحجبة الهياكل الأثريَّة، بالإضافة إلى المخطوطات وأوراق الرِّق (جلد الغزال) والأيقونات داخل هذا الدير؛ يؤكِّد أيضًا على أنه كان عامرًا في القرن الثامن عشر الميلادي[١٠]. وقد ذَكَر الباحث

---

(٨) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٦٧.

(9) R.-G. Coquin & S. J. Maurice Martin, "Dayr Abu Ishaq", *CoptEnc*.3, New York, 1991, 703a-703b.

(10) O. Burmester, *Koptische Handschriften*, vol.1. *Die Handschriftenfragmente der Staats und Universitatsbibliothek Hamburg*, pt.1, Wiesbaden, 1975, vol.1, pp. 290-294, 296-301.

"كون" اسم دير "أبو إسحق" في برديَّة قبطية تناولها بالدراسة والتحليل سنة ١٩٧٨م[١١].

وتوجد بعض الكنائس القبطية الأثريَّة والحديثة الأخرى التي تتبع إيبارشية أبنوب والفتح وتوابعها بأسيوط، مثل:

دير "أبو إسحق" بعرب العوامر بأبنوب. نقلًا عن الأنبا صموئيل، "*دليل الكنائس والأديرة في مصر*" ، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٦٧.

١. كنيسة العذراء مريم - بني عليج.
٢. كنيسة العذراء مريم - بني محمديات.
٣. كنيسة العذراء – المعابدة الغربية.
٤. كنيسة العذراء – شقلقيل.
٥. كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل – المعصرة.
٦. كنيسة الأمير تادرس – دير بصرة.
٧. كنيسة الأنبا بشاي والأنبا بطرس.
٨. كنيسة مار فام الجندي الطماوي، وبداخلها ثلاثة أحجبة أثريَّة فريدة.
٩. كنيسة مار جرجس – أبنوب.
١٠. كنيسة مار جرجس الكبادوكي – بنى مر.
١١. كنيسة مار يوحنا المعمدان – أبنوب، وقد ذكرها المؤرِّخ تقي الدين المقريزي باسم: "كنيسة القدِّيس يوحنا القصير"[١٢].
١٢. كاتدرائية القدِّيس مار مرقس الرسول بأسيوط.

الخاتمة:

مِمَّا سبق، يتَّضح أنَّ مركز أبنوب بمحافظة أسيوط من أهم المراكز المصرية التي شُيِّدَت بها كثير من الأديرة والكنائس القبطية في عصورٍ تاريخية مختلفة. منها ما اندثر، ومنها ما تجدَّدت عمارة مبانيه، ومنها أيضًا ما هو حديث البناء والتشييد. ونظرًا لطبيعة المكان في أبنوب، توجد حتى الآن كثيرٌ من القلَّايات واللورات والمنشآت الأثريَّة القبطية الصخرية والمُعلَّقة، والتي عُثِر بداخلها على مجموعاتٍ فريدة من الأيقونات والمخطوطات والتُّحف الخشبية، التي تتجلَّى فيها سِمَات وخصائص لمدارس فنية متنوِّعة.

---

(11) K.H. Kuhn, "A Panegyric on Apollo Archimandrite, of the Monastery of Isaac by Stephen, Bishop of Heracleopolis Magna", *CSCO* 394, Louvain, 1978, p. 1.

(١٢) الأنبا صموئيل، "*دليل الكنائس والأديرة في مصر*" ، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٦٧.

بين العِلْم والإيمان

نظرية التطوُّر في الميزان[١]

د. رياض قسيس

✠✠✠

هل يتنافَى العِلْم مع إعلان الله؟ هل تُهدِّد شرعيَّة الواحد مصداقيَّة الآخر؟ هل مِنْ إمكانية للجمع بين العِلْم الحقيقي والإيمان المُلتزم، دون أنْ يُنكِر أو يرفض أحدهما الآخر؟

لماذا تكون هناك ثنائية ساذجة بين العِلْم والإيمان، وكأنهما على طرفَي النقيض، وأنَّه لا بدَّ على العالِم أنْ يكون مُلحدًا حتى ينال عِلمُه التقدير، أو على المؤمن أنْ يتجاهل الحقائق العلميَّة حتى يُمتَدَح إيمانُه!

إنَّ دور الكتاب المقدَّس هو هِداية الإنسان إلى طريق الخلاص، وليس غرضه هو تقديم حقائق علميَّة. فالكتاب المقدَّس مُختصٌّ بفحص مَنْ خلق الكون؟ ولماذا خلقه؟ بينما يختصُّ العِلْم بفحص كيف، ومتى خُلِق الكون؟ إذن، للإيمان حدود، وللعِلْم حدود.

هناك علاقة تكامُل لا تَضادّ بين الروح والعقل لدى المؤمن المُثابر في البحث العلمي، فيمتزج فرح العبادة بفرح الاكتشاف. إنَّها دعوةٌ للخروج من علاقة عداء واتِّهام وتشكيك، إلى علاقة حوارٍ صريح وراقٍ، نُعبِّر فيه عن الاختلاف بنزاهةٍ واحترام، ونتحدَّث فيه عن العلاقة بين الخبرة الإيمانيَّة والمعرفة الفكريَّة، حتى نصل إلى لاهوت العِلْم. فالله هو السيِّد على العِلْم والإيمان. لا بدَّ أنْ يكون لدينا فضيلة التواضُع التي تحمينا من "كبرياء التفسير"، والتفسير الأوحد الذي لا يقبل بجانبه أيَّ رأيٍ آخر.

إنَّ سِفْر التكوين لا يهدف إلى تقديم حقائق علمية عن الفَلك والمجرَّات، بل هدفه أنْ يُقدِّم حقائق روحيَّة إلى جمهوره، بطريقةٍ يستطيعون استيعابها وفهمها. أمَّا الذين يودُّون دراسة هذه العلوم، فعليهم أنْ يقصدوا مكانًا آخر غير الكتاب المقدَّس.

نعم، نحن نؤمن أنَّ الكتاب المقدَّس هو الحقيقة الروحيَّة المُطْلَقة، ولكن تفسير الكتاب قد

---

(١) مقتطفات من كتاب: "بين العِلْم والإيمان" للدكتور رياض قسيس، طبعة أولى: ٢٠٢٠، دار منهل الحياة، والكتاب يقع في ١٤٤ صفحة من القَطْع الصغير.

يُخطئ أحيانًا. ومِنْ أكثر هذه الأخطاء وأشدِّها خطورة هي الفهم الحرفي للكلمات. مثلًا: هل نفهم أنَّ الله له عينان أو رِجلان أو يدان كالبشر؟ أو أنَّ له مشاعر إنسانية من غضب وندم وكراهية ...؟ إنَّ هذه التعابير جاءت في الكتاب المقدَّس لتُعين البشر على الفَهم والاستيعاب، وليس لفهمها حرفيًّا.

إنَّ التفكير العلمي والديني ليسا مُنقطعي الصِّلة بعضهما عن بعض، فهناك ما للدين في العِلْم، وما للعِلْم في الدِّين. إنَّ الدِّين يمكنه الاستفادة مِنْ كلِّ ما يتوصَّل إليه العِلْم، كما إنَّ العِلْم بحاجة إلى نظرةٍ روحيَّة لأجل خير الإنسان. وهنا نذكُر مقولة آينشتاين: "الدِّين بلا عِلْم ضرير، والعِلْم بلا دين أعرج".

نحن كثيرًا ما أسأنا تفسير الكتاب المقدَّس، جعلناه يتحدَّث عن أمورٍ ليست من هدفه ولا من اختصاصه. ارتكبنا خطأ الاعتقاد أنَّه كتابٌ عِلمي. هو، في الحقيقة، كتاب خلاصٍ، وليس كتاب عِلْم. نحن نؤمن أنَّ الله خَلَقَ الإنسان بكلمة منه، ولا يُسهِب بعد في أيِّ تفاصيل.

الرسول بولس في رسالته الثانية لتلميذه تيموثاوس يقول له: إنَّ الكُتُب المقدَّسة لها غاية مُحدَّدة «تُحَكِّمَكَ لِلْخَلَاصِ» (٢تي ٣: ١٥). فالهدف من وحي الكُتُب المُقدَّسة، هو أنْ تكون نافعة للتعليم، ولتأهيل المؤمن ليحيا كمسيحي بفعاليَّة. فيجب ألَّا نُضيِّع الوقت سُدًى ونحن نسأل عن الأمور التي لا يُعطينا الكتاب المقدَّس إجابةً عنها.

يستخدم البعض عبارات مثل: "العِلْم يُثبت مصداقية الكتاب المقدَّس"، "الآثار تؤكِّد صحة الكتاب المقدَّس" ... وكأنَّ الكتاب المقدَّس في مستوى المُدافع الضعيف الذي يحتاج للعِلْم والآثار لإثبات مصداقيته وصحته. إنَّ الكتاب المقدَّس والإيمان المسيحي، هما أسمَى من ذلك بكثير، ولا يحتاجان لشهادة خارجيَّة لتؤكِّد صحتهما. ثم ماذا لو اكتشف العِلْم أمرًا ما، أو كشفت الآثار معلومةً لا تتَّفق مع ما وَرَدَ في الكتاب المقدَّس؟ هل يتزعزع إيماني وأُراجع معتقداتي كلَّما طرأ تغيير على مسار العلوم وعلى ضوء الاكتشافات المُستجدَّة؟!

تكمُن المشكلة الرئيسيَّة عندما نطلب من العِلْم أو الكتاب المقدَّس الإجابة عن أسئلة دون تمييز في هدف كلٍّ منهما واختصاصاته. تصوَّر معي أنك تُعاني من ألمٍ في أسنانك، فتقصد طبيب العيون! وتكتشف – بعد فوات الأوان – أنَّك أخطأتَ العنوان! لقد حذَّر القدِّيس أُغسطينوس من محاولة بعض المسيحيين إقحام أنفسهم في أمورٍ وعلوم ليست من اختصاصاتهم أو نطاق معرفتهم، لأنهم بذلك قد يجلبون العار على الإيمان المسيحي.

الفهرس العام لمقالات المجلة عام ٢٠٢٤م

❖❖❖

صَدَرَت المجلة في ١٠ أعداد عن الشهور من يناير – ديسمبر ٢٠٢٤م
ما عدا شهرَي يوليو وأغسطس ٢٠٢٤م، وهما العطلة السنويَّة للمجلة
(الرقم الأول يُشير إلى الشهر، والثاني إلى الصفحة)

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:
٢/١ الفرح في ميلاد المسيح
١/٢ «سَالِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا»
١/٣ «شَجِّعُوا صِغَارَ النُّفُوسِ»
١/٤ «أَنْذِرُوا الَّذِينَ بِلَا تَرْتِيبٍ»
٢/٥ حُبٌّ حتى الموت
١/٦ «أَسْنِدُوا الضُّعَفَاءَ»
١/٩ "غايةُ الوصيَّة هي المحبةُ"
١/١٠ «تَأَنَّوْا عَلَى الْجَمِيعِ»
١/١١ «لاَ يُجَازِيَ أَحَدٌ أَحَدًا عَنْ شَرٍّ بِشَرٍّ»
١/١٢ «اتَّبِعُوا الْخَيْرَ»

أخبار الكنيسة:
٦/١١ لقاء مُمثِّلي الكنائس الأرثوذكسيَّة ...

مقال للأب متى المسكين:
٦/١ «وُلِدَ لَكُمُ الْيَومَ ....»
٦/٢ يونان والمسيح
٦/٣ تجربة المسيح
٩/٤ أسبوع الآلام
٥/٥ عيد القيامة المجيد
٧/٦ الروح القدس وانسكاب المحبة
٦/٩ لماذا الصليب؟ ...
٧/١٠ إسخاتولوجية الكنيسة
١١/١١ صوم الميلاد
٦/١٢ يقول الرب

ذكرى الصدِّيق تدوم إلى الأبد:
٣٧/١ الراهب أليشع المقاري
١٥/١١ الذكرى العاشرة لنياحة نيافة الأنبا ميخائيل

انتقال راهب فاضل:
١١/٦ الأب ديمتري المقاري راهبٌ حقيقي
١١/٩ جبَّار البأس الأب بقطر المقاري
١٥/٩ الراهب أُغسطينوس المقاري

من أقوال الآباء:
١٢/٣ الربُّ يسوع في البريَّة
١٤/٤ ارفعوا الحجر
١٥/١٠ المفاهيم الروحيَّة للتطويبات (١)
٢١/١١ المفاهيم الروحيَّة للتطويبات (٢)
١١/١٢ العذراء مريم نموذج للعذارى

تعاليم آبائية:
١٢/٥ قيامة المسيح انتصارٌ على الموت

بمناسبة صوم الميلاد:
٢٦/١١ رؤيا إشعياء ظلال التجسُّد
١٦/١٢ الزيارة السمائيَّة لأجل خلاص البشريَّة

بمناسبة شهر كيهك المبارك:
٢١/١٢ الليتورجيَّة الكيهكيَّة وسِفْر الرؤيا

بمناسبة عيد الميلاد المجيد:
١٢/١ ميلادان للربِّ يسوع

بمناسبة عيد الظهور الإلهي:
٢٨/١ معمودية الربِّ يسوع

بمناسبة صوم نينوى:
١٢/٢ التوبة
١٧/٢ يونان النبي كمثال للربِّ يسوع

بمناسبة الصوم المقدَّس:
١٥/٣ صلاة "أبانا"

بمناسبة البصخة المقدَّسة:
١٨/٤ الإفخارستيا "الله معنا"
٢٤/٤ الصليب واللص اليمين

بمناسبة عيد القيامة المجيد:
١٦/٥ حتميَّة القيامة
٢١/٥ مفاهيم عميقة لقيامة الرب

بمناسبة أحد توما:
٣٦/٥ المُبصِر والمؤمن والضرير

بمناسبة عيد الصعود المجيد:
٢٦/٦ الارتقاء المنشود للهدف الموعود

بمناسبة عيد العنصرة:
٣٢/٦ مواهب الروح القدس
٣٩/٦ روح الحق المُعزِّي

بمناسبة عيد النيروز:
١٧/٩ الاستشهاد

بمناسبة تذكار الصليب المقدَّس:
٢٨/٩ «مع المسيح صُلِبتُ»

من قصص التوبة:
٢١/٢ توبة القدِّيس هيلاري

مؤتمرات واجتماعات:
١١/١٠ الاستشهاد

من قصص الشهداء:
٢٣/٩ شهادة القدِّيس إيرينيئوس

مقال مُترجم:

٣١/١٠ محبة الله الفائقة المعرفة

بحث كتابي آبائي:

٢٠/٣ قدِّموا ذواتكم ذبيحةً للربِّ

ادخل إلى العمق:

٢٢/١ (٣٨) أين يولَد المسيح؟

٣٠/٢ (٣٩) المولود من الله، ومواجهة الخطية

٢٤/٣ (٤٠) أصدقاء الملكوت

٣٩/٤ (٤١) «الربُّ قد مَلَكَ على خشبة»

٣٢/٥ (٤٢) المسيح باكورة الراقدين

٢٢/٦ (٤٣) صعود المسيح

٣٣/٩ (٤٤) تجلّي المسيح

٢٦/١٠ (٤٥) ما بين الزرع والزارع، وبين الحنطة والزوان

٣٩/١١ (٤٦) البيت الفارغ

٢٦/١٢ (٤٧) العذراء الأُمُّ والعَبْدَة والشفيعة

من التراث الكنسي:

١٧/١ "تجسَّد من الروح القدس ومن مريم العذراء"

٣٧/٢ معرفة الله كأسمى هدف وأعظم فرح للحياة (٩)

٣٣/٣ معرفة الله: من خلال الكتاب المقدَّس (١٠)

٣٣/٤ من قانون الإيمان: "صُلِبَ"

٢٦/٥ من قانون الإيمان: "وقام من بين الأموات"

١٦/٦ من قانون الإيمان: "وصَعِدَ إلى السموات"

٣٨/٩ معرفة الله: من خلال الكتاب المقدَّس (١١)

١٩/١٠ معرفة الله: من خلال التقليد المقدَّس (١٢)

٢٨/١١ معرفة الله: من خلال المحبة (١٣)

٣١/١٢ معرفة الله: من خلال المحبة (١٤)

دراسات كتابيَّة:

٣٠/١١ "داود قال بالروح القدس" (١)

٣٤/١٢ "داود قال بالروح القدس" (٢)

دراسات ليتورجيَّة:

٤١/١ الحياة الليتورجيَّة لكنيسة الإسكندرية (٩)

٤١/٢ الحياة الليتورجيَّة لكنيسة الإسكندرية (١٠)

مفاهيم كتابية:

٢٩/٤ آلام الرب

في الحياة الروحية:

٣٢/١ جوهر الحياة الروحيَّة (١)

٢٥/٢ جوهر الحياة الروحيَّة (٢)

٢٩/٣ جوهر الحياة الروحيَّة (٣)

بحث تاريخي:

٤٤/١ كناس قبطية باسم ق. يوحنا المعمدان (١)

٤٤/٢ كناس قبطية باسم ق. يوحنا المعمدان (٢)

٣٧/٣ كناس قبطية باسم ق. يوحنا المعمدان (٣)

٤٣/٤ دير الميمون ببني سويف (١)

٤٢/٥ دير الميمون ببني سويف (٢)

٤٤/٦ أديرة وكنائس مسيحيَّة أثريَّة بأسوان

٤٢/٩ دير الشهداء بإسنا (١)

٣٥/١٠ دير الشهداء بإسنا (٢)

٤٤/١١ دير الفاخوري بإسنا

٣٨/١٢ أديرة وكنائس أبنوب الأثريَّة

تقديم كتاب:

٤٨/١ (١٩) الخطية الجدِّيَّة (٢)

٤٩/٢ (٢٠) الإيمان بالثالوث (١)

٤١/٣ (٢١) الإيمان بالثالوث (٢)

٤٧/٤ (٢٢) حروب يهوه (١)

٤٨/٥ (٢٣) حروب يهوه (٢)

٥٠/٦ (٢٤) الإنجيل بين بيزنطية والإسكندرية

٤٥/٩ (٢٥) الدفاعيات المُجرَّدة (١)

٤٠/١٠ (٢٦) الدفاعيات المُجرَّدة (٢)

٤٩/١١ (٢٧) أربعة وجهات نظر عن آدم التاريخي

٤٣/١٢ (٢٨) بين العِلْم والإيمان

حول العالم:

٥٠/١ أخبار متنوعة

٥١/٢ أخبار متنوعة

٤٣/٣ أخبار متنوعة

٥٠/٥ أخبار متنوعة

٤٢/١٠ أخبار متنوعة

٥١/١١ أخبار متنوعة

مقال بالإنجليزية: للأب متى المسكين

٥٦/١ Living With Christ, Vol. 4, 19-20

٥٦/٢ Living With Christ, Vol. 4, 21-23

٤٨/٣ Living With Christ, Vol. 4, 24-25

٥٢/٤ Living With Christ, Vol. 4, 26-28

٥٦/٥ Living With Christ, Vol. 4, 29-31

٥٦/٦ Living With Christ, Vol. 4, 32-34

٥٢/٩ Living With Christ, Vol. 4, 35-37

٤٨/١٠ Living With Christ, Vol. 4, 38-40

٥٦/١١ Meeting of the Orthodox Churches Representatives

٥٢/١٢ Living With Christ, Vol. 4, 41,42, 44

من تعليم آباء الكنيسة مُترجم عن اليونانية:

غلاف ١ بركات الميلاد

غلاف ٢ يونان وتدبير المسيح الخلاصي

غلاف ٣ لا مكانَ لليأس

غلاف ٤ مثل شاةٍ سِيق إلى الذَّبح

غلاف ٥ قيامتنا مع المسيح

غلاف ٦ الروح القدس يسكن بكلِّيَّته في كلِّ أحد

غلاف ٩ التَّوْق إلى الاستشهاد

غلاف ١٠ رجاؤنا في المسيح في وسط العاصفة

غلاف ١١ إعادة الوحدة للكنائس التي تفرَّقت ...

غلاف ١٢ مجيء الطبيب الحقيقي

صور الغلاف:

وجه ١ السلام لكِ يا والدة الإله

ظهر ١ معمودية ربِّنا

وجه ٢ ما بين يونان النبي والربِّ يسوع

ظهر ٢ تذكار تقديم يسوع المسيح في الهيكل

وجه ٣ المرأة السامرية تلتقي بالمسيح

ظهر ٣ شفاء المفلوج (مر ٢: ٩)

وجه ٤ «إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ!» دخول الرب يسوع أورشليم
ظهر ٤ حدوث ظلمة على كلّ الأرض أثناء موت الرب على الصليب
وجه ٥ نزول المسيح إلى الجحيم
ظهر ٥ توما الرسول المؤمن
وجه ٦ صعود الربِّ إلى أعلى السموات وإرسال المُعزِّي روح الحق
ظهر ٦ ميلاد الكنيسة
وجه ٩ عيد الصليب المقدَّس
ظهر ٩ القدِّيس سرجيوس الشهيد
وجه ١٠ الوجه المقدَّس للربِّ يسوع
ظهر ١٠ المسيح ضابط الكل
وجه ١١ البشارة بميلاد مُخلّص العالم
ظهر ١١ الشاروبيم ذو الأربعة أوجه
وجه ١٢ والدة الإله القدِّيسة الطاهرة مريم
ظهر ١٢ أحداث الميلاد

****

(بقية المنشور صفحة ٢٥ – "الليتورجيَّة الكيهكيَّة وسِفْر الرؤيا")

وقد رأى القدِّيس يوحنا تحت المذبح السماوي، الذي هو امتدادٌ للمذبح الأرضي، الشهداءَ: «نُفُوسَ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللهِ» (رؤ ٦: ٩). كما رأى الكنيسة المنتصرة: «أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُهَيَّأَةً كَعَرُوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا ... هُوَ ذَا مَسْكَنُ اللهِ مَعَ النَّاسِ ... الْعَرُوسَ امْرَأَةَ الْخَرُوفِ» (رؤ ٢١: ٢و٣ و٩)؛ بل إنه رأى كيف أنها كنيسة **رسولية**: «سُورُ الْمَدِينَةِ كَانَ لَهُ اثْنَا عَشَرَ أَسَاسًا، وَعَلَيْهَا أَسْمَاءُ رُسُلِ الْخَرُوفِ الِاثْنَيْ عَشَرَ» (رؤ ٢١: ١٤)، وأنَّ هيكلها هو الرب: «وَلَمْ أَرَ فِيهَا هَيْكَلًا، لأَنَّ الرَّبَّ اللهَ الْقَادِرَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، هُوَ وَالْخَرُوفُ هَيْكَلُهَا» (رؤ ٢١: ٢٢). وأخيرًا، سمع تلك الدعوة لنا إلى ماء الحياة: «وَالرُّوحُ وَالْعَرُوسُ يَقُولَانِ: "تَعَالَ!". وَمَنْ يَسْمَعْ فَلْيَقُلْ: "تَعَالَ!". وَمَنْ يَعْطَشْ فَلْيَأْتِ. وَمَنْ يُرِدْ فَلْيَأْخُذْ مَاءَ حَيَاةٍ مَجَّانًا» (رؤ ٢٢: ١٧).

****

ميلاد المسيح وكمال استعلان الله للعالم

[بميلاد المسيح بلغ استعلان الله للعالم آخر مراحله ومنتهاها، لا بتوسُّط الحكمة ولا على مستوى المنطق، بل تعدَّى كلَّ ذلك وكلَّ حدود الفلسفة والتصوُّر أيضًا، فقد تمَّ الاستعلان الإلهي على مستوى حياة!! حياة في إنسان! حياة فيها كل ملء الله وحضرته ببرهان القوَّة والفعل لا ببرهان الكلمة والعقل! حياة الله في إنسانٍ كامل: **يسوع المسيح!!**

بميلاد المسيح بطلت الحكمة البشرية وفقدت قيمتها، كواسطة لاستعلان الله أو حتى الاقتراب إليه، وتوقَّفت الكلمة البشرية بكلِّ منطقها وبلاغتها، وأعطت الطريق لكلمة الله يسوع الحي المُذَّخَر فيه جميع كنوز حكمة الله وقدرته، لكي بكلمته يُحيي ويُجدِّد ويُقيم من الموت].

("أعياد الظهور الإلهي"، للأب متى المسكين، الطبعة الخامسة: ٢٠١٤، صفحة ٩٧)

****

Father Matta El-Meskeen

LIVING WITH CHRIST

Articles of Comfort and Blessings Offered to the Reader

To the dear reader, we continue with Father Matta's search for new thoughts in the Gospel of St John, adding to the previous issues. Note: *All quotations are taken from the* ***New King James Version,*** *if not otherwise mentioned.*

Volume Four

Chapter 41

"If you keep My commandments, you will abide in My love, just as I have kept My Father's commandments and abide in His love. These things I have spoken to you, that My joy may remain in you, and *that* your joy may be full" (John 15:10,11).

CHRIST gave the parable of abiding in Him as a branch would in the vine, which, by abiding in the vine, would bear fruit. Here, He reveals to us the secret of how to abide in Him, and that is by keeping His commandments. For His commandments are like the vine's sap, which, if running through the branch, makes it bear fruit, and, the extent of the fruit will be determined by how much we abide in Him. What a beautiful analogy that Christ should resemble Himself as the Vine, His Father as the Vinedresser and us as the branches. And Christ gives this essential parable in order to reveal the mystery of His own abiding in the Father: it is that He keeps the commandments of the Father and loves Him! It is humility beyond humility that Christ should give Himself as an example for abiding, that He abides in the Father, keeps His commandments and loves Him!!

Then, Christ re-reveals the mystery of abiding in Him, that it is the **secret to true joy**. Thus, to him who abides in Christ and keeps His commandments, Christ gives His divine joy, that the person may rejoice with Christ and that his joy may be full, in other words, reaching perfection. And Christ is trying, in various ways, to grasp our attention to the importance of His commandments and the importance of keeping them. And so, in one instance He would say that keeping His commandments is the secret to abiding in Him and the secret to bearing fruit; and in another instance, Christ would make keeping His commandments the foundation of man's revelation to the mystery of divine joy, that, which would dwell in our hearts if we keep His commandments.

Oh that the reader were to take heed to Christ's various attempts of proving the importance of keeping His commandments, the matter that would cost us nothing at all.

For Christ promises that He Himself would enter into the depths of our life and take charge of expounding and explaining His commandments, rather works at ingraining His commandments in the heart of him who loves Him and keeps His commandments, knowing that the **Holy Spirit** takes charge of revealing the light and mystery of Christ's commandments to man, rather works at ingraining them in man's heart. In addition, He takes charge of teaching them to the person and reminding him of them.

All of this conveys to man a spirit of clinging to Christ, until He fulfills in him all of His promise. And so, the only thing that man is required to do is to trust in Christ and His promises, and to open his heart to accept Him, sitting at and being disciplined by His Bible. "Your words were found, and I ate them, and Your word was to me the joy and rejoicing of my heart; For I am called by Your name, O LORD God of hosts"[1]. And those who accepted Christ into their life and kept His commandments became some of the most famous preachers in the world, rather, performed wonders and miracles that shook the world.

Christ proved to man that He is faithful in His promise and is able to fulfill it in the weakest of people. Rather He made out of His persecutors, who harmed many, different people, like the apostle, Paul the Pharisee who was trained in killing Christian men and women. God called him while on his way with an official sanction to kill the Christians, and He spoke with him from heaven saying, "I am Jesus, whom you are persecuting"[2]. Then, He sent him a pious, Christian man to call him to faith in Christ, and he baptized him. Then, the Holy Spirit descended on him, and he went, preaching Christ as Lord and God to those whom he persecuted. And he drew, and he still draws, with his life-giving teachings, hundreds, thousands and millions, rather whole generations, to the love of Christ and faith in Him.

As the author, I acknowledge that the favor of the apostle Paul to me is greater than I can confess or mention. He was the one that opened my eyes and heart to the love of Christ and keeping His commandments, and preaching through writing and giving sermons on His name and love for seventy years. Until this day, I utter his words, teachings and love of Christ, and I acknowledge his favor and the favor of Christ on me, for, after being a shy child, he made me into what I am.

Therefore, I invite you, O blessed friend and blessed sister, to come to the Bible with a holy purpose, and to ask for new life from Christ that He may give you. For He gives of His grace, as the Bible says, with a good measure that runs over[3], that you may rejoice and delight people with the precious treasure which the Bible reserved for the lovers of God.

December 26, 2005

---

[1] Jeremiah 15:16.
[2] Acts 9:5.
[3] See Luke 6:38.

Chapter 42
"You did not choose Me, but I chose you" (John 15:16).

THE ASSERTION THAT CHRIST CHOSE US is His mystery which He works with and calls for. He calls and invites that people would come to Him and believe in Him, that they may become children of God. If man comes to Him, loves Him and opens his eyes to His Gospel, sayings and commandments, he thinks that it was he who came to Christ and chose Him as Lord and God. Nevertheless, Christ reveals His secret —it is He who has drawn us to His love and to discipleship to His Gospel and commandments.

In this mystery, whole generations lived and clung to Christ, loved Him and served His name. And they were some of the most famous preachers, bishops and patriarchs, enriching the church with their knowledge, faith and talent which filled books and parchments. Here we are, drinking from it our life, faith and love of Christ. Those, Christ chose, and He still chooses His servants, builds them up on the faith and sends them to proclaim and preach.

Christ is the head of the church, and the true church that is rich in faith and service is His body. The faithful in it are members of this body, ignited with fire, never abstaining or keeping silent from preaching and proclaiming His name. Christ chose them and ignited their hearts with His love, and inspired them with the good word that enters and captivates the heart to the love of Christ and to faith in Him. For Christ worked in the church since its foundation and until this day, and chose in it men and women, dedicating them with the power of the word that comes out of their heart as fiery arrows that ignite whoever hears them[1], and He daily adjoins to the church hundreds and thousands of lovers of His commandments.

The church, until this day, is truly rich with those whom Christ chose and in whose hearts He poured of His Holy Spirit. Thus, their minds were enlightened and they went and still go every day throughout the world, shining with their knowledge, glowing in the midst of the darkness of this world which rules today in the emerging generations. These generations plugged their ears with the earplugs of the world's songs and words, the devil completing their plugging by igniting them with the lust of the flesh; thus, they wandered away from God, the church and the Bible, and became the sons of Belial.

Nevertheless, the reason behind the world being reserved till this day is the chosen ones who were chosen by God from the midst of the people, to witness to the name of Christ and His Holy Bible.

Until this day, the world is kept by the word of God which the chosen of God carried and proclaimed, and still proclaim. The church is in dire need of those chosen ones to save her from the flood of sin that ruled over peoples and nations which the devil drew to live under his yoke which was overcome and broken on the cross. However, the

[1] See Habakkuk 3:9.

defeated devil continues to lure the descendants of Eve until this day. And so, the woman became now the cause of a great offense, even though in the past she used to be one of the pillars of the early church, raising whole generations in the fear of God.

And so, the call today is directed to the woman who stays home, raising her children in the fear of God and the love of the Bible and the church. For it is impossible for the Coptic house to stand without the woman, no matter how much men worked and hired maids. For the essence of the woman is her heart and compassion, which hands down lowliness, humility and the fear of God to the children. For the chosen woman is dearer than all the gold of the whole world, and more precious than the treasures of the world.[2] She alone is the true treasure, hidden in the field of the world, for only she is able to gather her children to the bosom of Christ.

Christ's said, when the Son of Man comes to earth "will He really find faith on the earth?"[3] Such a saying cuts into our hearts, for we see with our eyes that faith has dried up from people's hearts, and in place of faith settled the pleasure of the world, with its riches and vainglory. And so, will chosen ones rise up to save the world and the church from her destiny that she is drawing with her own hand? The call here is for returning, for a spiritual awakening that would snatch these generations from the tyranny of the world over the children of God.

December 26, 2005

---

[2] See Proverbs 31:10.
[3] Luke 18:8.

Chapter 44

"Yet because you are not of [this] world… therefore the world hates you. If the world hates you, you know that it hated Me before it hated you" (John 15: 19, 18).

THOSE WHO ACCEPTED CHRIST AS LORD AND GOD are not of the world, rather the world hates them. Why?

It is very obvious that the world has been put in the hand of the evil one, thus, he who loves the world, the world loves, and he becomes a puppet in the hand of Satan because he obeys him in all his counsels. The world cannot bear the name of Christ because it becomes a conviction for it. And so, for the name of Christ, the world persecutes those who are Christ's. For the world and its prince have persecuted Christ, a persecution that led them to His crucifixion, and the devil became aware of how to measure up for Christ attacks in those who accepted Christ and believed in Him. Thus, the world became distinguished by its enmity toward Christians and their persecution for the sake of the Name. Here, Christ forewarns those who are His that they should become aware of what the world has in store for them, that they be not driven after those who live in the world while being held captive under its enticement.

For that reason, the first advice to a Christian is to take heed in the beginning of his life of faith, not to be drawn toward the attraction of the world and the companionship of the evil ones who worship the world. This is the passive facet in the way of faith in Christ, which is able to devour the beginners. Nevertheless, as soon as the Christian person starts on his straight path, prays and gets acquainted with the love of Christ, evildoers will leave him. And as soon as he feels the world opposing him, he throws himself in the bosom of Christ and clings to faith.

The fact is well-known to us and indisputable that, as soon as the person holds unto Christ, Christ embraces him. For His promise stands throughout all ages, that "the one who comes to Me I will by no means cast out"[1]. Thus, Christ made faith in Him a pledge of will to the person who aims to enter Christ's sheepfold.

In the face of the world's hatred to him who accepts Christ, Christ opens His arms to everyone who takes refuge in Him. And we tasted the gall of the world and its bitter persecution, nevertheless, Christ's shield over us and His defense for us was beyond recounting. For we believe and testify that Christ's protection for His children surpasses all of the devil's power and world. And Christ's saying, "Take My yoke upon you…for My yoke is easy and My burden is light"[2], is a hidden fact known by everyone who threw his burden upon Him and favored His yoke over that of the evil world. Those who tasted the sweetness of Christ became ready to truly eat Him. For His eye is upon us all day long, like a mother who protects her children and nourishes them with her life.

Christ, who loved us and gave Himself up for us, bought us from the grasp of the devil by His blood; and so, neither the devil nor the world will be able to snatch us from the hand of Christ and the hand of the Father[3], which is our strength and our everlasting pleasure. Thus, no matter how much the world despises and the enemy exposes his fangs, we are under the shield of the One who created the heavens and the earth, and He has created us newly by the Spirit for Himself, for we are the children of God and members of the household of God[4]. And our fortune and portion are reserved for us in heaven[5], which we see by faith and live for tangibly, and we rejoice with it in the darkest of hours, for our eyes are fixed on high from whence comes our help[6], the right hand of the Lord protecting us until we pass to Him and rejoice, for our portion is near.

December 27, 2005

✞✞✞

[1] John 6:37.
[2] Matthew 11:29,30.
[3] See John 10:28,29.
[4] John 1:12 and Ephesians 2:19.
[5] 1 Peter 1:4.
[6] Psalms 121:1.

The Coming of the True Physician

Moses came, but he could not bestow a complete cure. Priests, gifts, tithes, … and every other righteousness was performed under the Law, and the soul could not get cured and cleansed from the unclean issue of bad thoughts. Every righteousness of the soul was unavailing to heal man, until the Savior came, the true Physician, who cures without cost, who gave Himself a ransom for mankind. He alone accomplished the great, saving deliverance and cure of the soul. He set it free from bondage, and brought it out of darkness, glorifying it with His own light. He dried up the fountain of unclean thoughts that was in it. *Behold*, it says, *the Lamb of God, that taketh away the sin of the world*.

Fifty Spiritual Homilies, *Homily* 20. 6
tr. A. J. Mason, 1921, pp. 165,166.

****

ἐκ τοῦ ἁγίου Μακαρίου

Μωϋσῆς ἦλθεν, ἀλλ᾽οὐκ ἠδυνήθη ἴασιν παντελῆ δοῦναι. ἱερεῖς, δῶρα, ἀποδεκατώσεις, … καὶ πᾶσα ἡ λοιπὴ δικαιοσύνη ἐπετελεῖτο ἐν τῷ νόμῳ, καὶ ἡ ψυχὴ ἰαθῆναι καὶ καθαρισθῆναι ἀπὸ τῆς ἀκαθάρτου ῥύσεως τῶν κακῶν λογισμῶν οὐκ ἠδυνήθη, καὶ πᾶσα ἡ δικαιοσύνη αὐτῆς θεραπεῦσαι αὐτὴν οὐκ ἴσχυσεν, ἕως οὗ ἦλθεν ὁ σωτήρ, ὁ ἀληθινὸς ἰατρὸς ὁ δωρεὰν ἰώμενος, ὁ ἑαυτὸν ὑπὲρ τοῦ γένους τῶν ἀνθρώπων λύτρον δούς. αὐτὸς μόνος τὴν μεγάλην καὶ σωτήριον λύτρωσιν καὶ ἴασιν τῆς ψυχῆς ἐποίησεν. αὐτὸς ἠλευθέρωσεν αὐτὴν ἐκ τῆς δουλείας καὶ ἐξήγαγεν αὐτὴν ἐκ σκοτίας, ἰδίῳ φωτὶ δοξάσας αὐτήν. αὐτὸς ἐξήρανε τὴν ἐν αὐτῇ πηγὴν τῶν ἀκαθάρτων λογισμῶν· "ἰδοὺ" γάρ φησιν "ὁ ἀμνὸς τοῦ θεοῦ ὁ αἴρων τὴν ἁμαρτίαν τοῦ κόσμου".

ΒΕΠ 41, p. 259

St. Mark *Monthly Review*
Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.
ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July & August excluded, sent by Int. Courier):
U.S.$ 110.00
Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:
"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.
No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.
© 2024 by the Monastery of St. Macarius the Great.
Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382
VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG